الصراع على الهوية اليهودية

في عصر عدم التوازن

د. عبد الله النعمة

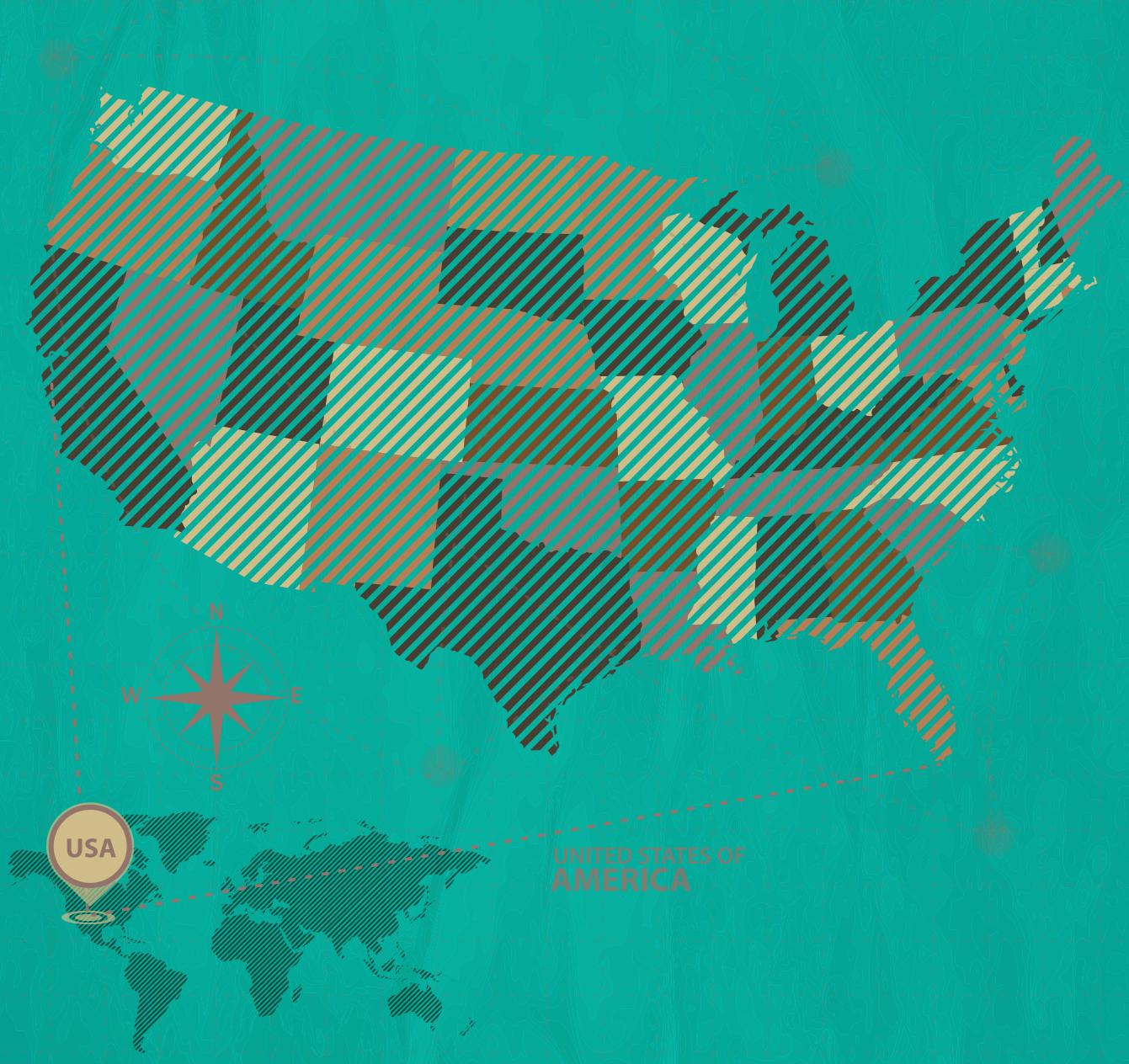

محفوظة جميع الحقوق

الصراع على الهوية اليهودية

في عصر عدم التوازن

تأليف

د. عبد الله النعمة

2025م

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

الموضوع	الصفحة
ملخص تنفيذي	07
مقدمة: في عين العاصفة	11
الجزء الأول: تشريح الحصن - بناء العصبية وتماسكها	15
• **الفصل الأول: أنماط الشتات - خريطة العالم اليهودي عشية الطوفان**	16
○ المبحث الأول: نمط "الشتتل" - عصبية الحصار في أوروبا الشرقية	16
○ المبحث الثاني: نمط "الاندماج" - حلم التنوير في أوروبا الغربية	17
○ المبحث الثالث: المختبر الأمريكي - تصادم الأنماط في العالم الجديد	18
• **الفصل الثاني: الأعمدة الثلاثة للحصن المنيع**	19
○ المبحث الأول: الجرح التأسيسي - صدمة المحرقة وعقيدة "لن يتكرر هذا أبداً"	19
○ المبحث الثاني: الرد العلاجي - المشروع الصهيوني كمركز عاطفي وروحي	21
○ المبحث الثالث: معاداة السامية كجدار خارجي	23
○ المبحث الرابع: مهندسو الحصن - الفاعلون في بناء العصبية	25
• **الفصل الثالث: السردية الجامعة - "أخلاقية البقاء"**	28
○ المبحث الأول: المبدأ الأول - الوحدة غير المشروطة كضرورة وجودية	28
○ المبحث الثاني: المبدأ الثاني - القوة كفضيلة أخلاقية عليا	29
○ المبحث الثالث: المبدأ الثالث - الشك المنهجي بالآخر	29
• **الفصل الرابع: الهدنة الكبرى - فن إدارة التناقض الداخلي**	31
○ المبحث الأول: مبدأ "فصل الساحات" - ليبرالي في الداخل، واقعي في الخارج	31
○ المبحث الثاني: مهندسو الفكر ورُسُل "الصهيونية الليبرالية"	32
○ المبحث الثالث: آليات الضبط والسيطرة - قوة "التصفية المدنية"	34
الجزء الثاني: الطوفان الثقافي - لحظة تصدّع الحصن	37
• **الفصل الخامس: محفزات الانهيار**	38
○ المبحث الأول: المُسرّع الرقمي - كسر احتكار السردية	39
○ المبحث الثاني: الصدمة الأخلاقية - حجم الفعل وتداعياته	41
• **الفصل السادس: طبوغرافيا الانقسام الكبير**	43
○ المبحث الأول: الخارطة الأيديولوجية - معسكران في حرب باردة	43
○ المبحث الثاني: الخارطة الجغرافية - معاقل الصراع وميادينه	44
○ المبحث الثالث: الخارطة الديموغرافية - محركات الانقسام العميقة	45
• **الفصل السابع: الصدع المتكرر - نماذج تاريخية لانهيار العصبيات**	47
○ المبحث الأول: النموذج القديم - فتنة "الولاء" و"العدالة" في صدر الإسلام	47
○ المبحث الثاني: النموذج الحديث - انشقاق اليسار الأمريكي في عصر فيتنام	48

الموضوع	الصفحة
الجزء الثالث: معركة السرديات - حرب المواقع على هوية المستقبل	51
• **الفصل الثامن: الفاعلون ومكبرات الصوت - تشريح آلة الصراع**	52
○ المبحث الأول: هوليوود كأداة لـ "رفع السقف" وتطبيع النقد	52
○ المبحث الثاني: آلة "معسكر الولاء القومي" - قوة المؤسسة والهرمية	53
○ المبحث الثالث: شبكة "معسكر العدالة الكونية" - قوة الحراك واللامركزية	54
○ المبحث الرابع: "الوسط المنهار" ومحاولة الحفاظ على التوازن	55
○ المبحث الخامس: ساحة القانون - المعركة على تعريف "العدالة"	55
• **الفصل التاسع: الآلة: تشريح لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية (AIPAC)**	58
○ المبحث الأول: الجذور والنشأة - ولادة الآلة	59
○ المبحث الثاني: تشريح القوة - مكونات الآلة	61
○ المبحث الثالث: التحديات والمستقبل - الآلة في مواجهة الطوفان	66
• **الفصل العاشر: قلاع الاقتصاد - وول ستريت ووادي السيليكون في قلب الصراع**	72
○ المبحث الأول: وول ستريت - المحرك المالي لـ "الحصن التقليدي"	72
○ المبحث الثاني: وادي السيليكون - ساحة الصراع بين ثقافة "التغيير" وقوة "رأس المال"	73
• **الفصل الحادي عشر: ساحة العقل - حرب المواقع في الأوساط الأكاديمية**	75
○ المبحث الأول: العلوم الإنسانية والاجتماعية - الحاضنة الفكرية لـ "معسكر العدالة"	75
○ المبحث الثاني: الإدارة والمانحون - قوة "الحصن التقليدي" داخل الجامعة	76
○ المبحث الثالث: صدام الحريات - المعركة على حرية التعبير الأكاديمي	77
○ المبحث الرابع: خريطة الصراع في الجامعات العريقة - دراسة حالات	78
• **الفصل الثاني عشر: السرديات المتضادة - المعركة على "روح" الهوية**	81
○ المبحث الأول: سردية "البقاء والحصن المنيع" (سردية معسكر الولاء)	81
○ المبحث الثاني: سردية "التحرر والمسؤولية الأخلاقية" (سردية معسكر العدالة)	82
○ المبحث الثالث: سردية "الحلم الليبرالي المفقود" (سردية الوسط المنهار)	83
الجزء الرابع: الخاتمة التحليلية - استشراف المستقبل	85
• **الفصل الثالث عشر: نموذج التفوق - مقارنات معيارية للحركة الصهيونية**	85
○ المبحث الأول: معايير النجاح - إطار للمقارنة المعيارية	86
○ المبحث الثاني: دراسة حالة مقارنة - الصهيونية والقومية الأرمنية	88
○ المبحث الثالث: دراسة حالة مقارنة - الصهيونية والقومية الأيرلندية	91
○ المبحث الرابع: دراسة حالة مقارنة - الصهيونية والقومية الفلسطينية	94
• **الفصل الرابع عشر: سيناريوهات المستقبل ومنهجية الرصد**	102
○ المبحث الأول: خمسة سيناريوهات محتملة للمستقبل	103
○ المبحث الثاني: منهجية الرصد والمتابعة - الكتاب كمرصد فكري	105
خاتمة: خريطة لزلزال هوياتي	106
قائمة مقترحة للقراءة والاستزادة	108

ملخـــص تنفـيـذي:

ملخص تنفيذي:

ملخص تنفيذي:

يقدم هذا الكتاب تشريحاً بنيوياً لأحد أهم التحولات الهوياتية في عصرنا: الانقسام العميق والمتسارع داخل المجتمع اليهودي الأمريكي. يتجاوز التحليل مجرد رصد الخلافات السياسية اليومية ليغوص في جذور ما يعتبره "زلزالاً هوياتياً"، حيث تتصارع رؤى متنافسة حول معنى الهوية اليهودية في القرن الحادي والعشرين، وهو صراع لا يقتصر على السياسة بل يمتد إلى صدام بين رؤى فلسفية متعارضة حول طبيعة الهوية والأخلاق والقومية ذاتها.

الإطار التحليلي: ينطلق الكتاب من إطار نظري مبتكر هو "نظرية الأنماط الديناميكية"، التي تفترض أن الهويات والجماعات البشرية تمر بدورات حياة حتمية (ولادة، نمو، جمود، ثم تكسّر وإعادة تشكيل). وفقاً لهذا الإطار، فإن "نمط التماسك الدفاعي" الذي ميّز الهوية اليهودية في القرن العشرين - والذي تشكّل بفعل صدمة المحرقة والمشروع الصهيوني وتم توثيق قوته في دراسات مرجعية مثل كتاب "اللوبي الإسرائيلي" لميرشايمر ووالت -[1] قد وصل إلى نهاية دورته، ويتعرض الآن لـ "طوفان ثقافي" يدفعه نحو نقطة تحول تاريخية.

مسار الكتاب: يسير الكتاب في أربعة أجزاء مترابطة منطقياً:

- **الجزء الأول:** تشريح بنية التماسك، حيث يحلل الأعمدة الفكرية والنفسية التي قامت عليها "عصبية البقاء" في القرن العشرين، وكيف أدارت تناقضاتها الداخلية.

(1) **جون ميرشايمر وستيفن والت** (Mearsheimer and Walt): عالما سياسة أمريكيان بارزان. اشتهرا بكتابهما "اللوبي الإسرائيلي والسياسة الخارجية الأمريكية" (2007) ، والذي أثار جدلاً واسعاً. يجادل الكتاب بأن اللوبي المؤيد لإسرائيل، وبشكل خاص منظمة "إيباك" ، يمتلك قوة استثنائية في توجيه السياسة الخارجية الأمريكية. ويستخدمه الكتاب كدراسة مرجعية لتوثيق قوة "نمط التماسك الدفاعي" التاريخي.

- **الجزء الثاني:** الطوفان الثقافي ولحظة التصدّع، ويرصد كيف أدت الثورة الرقمية والصدمات الأخلاقية الأخيرة (كما وثقتها تحليلات 2024-2025) إلى كسر الإجماع القديم، ويرسم خريطة دقيقة للانقسام الأيديولوجي والديموغرافي بين "معسكر الولاء القومي" و"معسكر العدالة الكونية"، مستنداً إلى دراسات سوسيولوجية مثل كتاب "مشكلة في القبيلة" لدوف واكسمان.[1]
- **الجزء الثالث:** معركة السرديات، ويغوص في "حرب المواقع" الدائرة حالياً في الساحات الرئيسية كالأوساط الأكاديمية، وول ستريت، وهوليوود. يحلل هذا الجزء بعمق السرديات المتنافسة بالاستناد إلى الأصوات الفكرية المرجعية لكل معسكر (مثل يورام هازوني[2] لمعسكر الولاء، وجوديث بتلر[3] لمعسكر العدالة، وبيتر بينارت[4] للوسط المنهار)، كما يقدم تشريحاً معمّقاً لآليات عمل الفاعلين الرئيسيين مثل منظمة "AIPAC" والتحديات الجديدة التي تواجهها، بما في ذلك "الصدع داخل الحصن" المتمثل في صعود اليمين القومي.
- **الجزء الرابع:** الخاتمة التحليلية، ويقدم رؤية استشرافية من خلال وضع الحركة الصهيونية في إطار مقارن مع حركات قومية أخرى، ويطرح سيناريوهات محتملة لمستقبل الهوية اليهودية الأمريكية في ظل التشظي المتسارع.

---

(1) **دوف واكسمان** (Dov Waxman): عالم اجتماع وأستاذ بارز متخصص في الدراسات الإسرائيلية والمجتمع اليهودي الأمريكي (مدير مركز UCLA للدراسات الإسرائيلية). يستشهد به الكتاب كمرجع أساسي عبر دراسته "مشكلة في القبيلة"، التي توثق تحول إسرائيل من "أساس موحِّد" تاريخياً إلى "مصدر لعدم الوحدة" والصراع داخل المجتمع اليهودي الأمريكي

(2) **يورام هازوني (Yoram Hazony):** فيلسوف ومنظّر سياسي إسرائيلي، وأحد أبرز قادة حركة "المحافظين الوطنيين". يُقدمه الكتاب كصوت فلسفي رئيسي لـ "معسكر الولاء القومي". في كتابه "فضيلة القومية"، يجادل هازوني بأن الدولة القومية هي "أفضل شكل للحكم" و"فضيلة" سياسية عليا، ويهاجم "الأممية الليبرالية" التي يمثلها "معسكر العدالة"

(3) **جوديث بتلر (Judith Butler):** فيلسوفة أمريكية، تُعد من أهم منظري ما بعد البنيوية ودراسات النوع الاجتماعي (الجندر). يُقدمها الكتاب كصوت فكري مرجعي لـ "معسكر العدالة الكونية". في كتابها "طرق الافتراق"، تجادل بتلر بضرورة فصل "اليهودية" كقيمة أخلاقية عالية قائمة على العيش المشترك في الشتات، عن "الصهيونية" كمشروع دولة قومي حصري.

(4) **بيتر بينارت (Peter Beinart):** صحفي وأكاديمي أمريكي بارز. يُقدمه الكتاب كصوت محوري يمثل "الوسط المنهار" وسردية "الحلم الليبرالي المفقود". يوثق في كتابه "أزمة الصهيونية" كيف أدى فشل المؤسسة في نقد الاحتلال إلى "اغتراب" الجيل الجديد. يجسد بينارت هذا التحول، حيث انتقل من كونه صهيونياً ليبرالياً بارزاً إلى داعية لحل الدولة الواحدة

المساهمة الرئيسية: لا يهدف الكتاب إلى التنبؤ بالنتيجة النهائية لهذا الصراع، بل يهدف إلى تزويد القارئ بـ "صندوق أدوات فكري" لفهم آليات التغيير الاجتماعي وتفكيك الصراعات الهوياتية المعاصرة. يجادل بأن ما نشهده ليس مجرد خلاف سياسي، بل هو "نقطة تشعّب" بنيوية، من النوع الذي يعيد تعريف هوية الجماعات بشكل جذري. وبذلك، يقدم الكتاب نفسه ليس فقط كدراسة حالة للمجتمع اليهودي مدعومة بأحدث المراجع الأكاديمية والرصد الآني، بل كنموذج تحليلي يمكن تطبيقه لفهم أي صراع هوياتي آخر في عالمنا المعاصر.

مقدمة

مقدمة

في عين العاصفة

إن المشهد الفكري والاجتماعي داخل المجتمع اليهودي الأمريكي، أحد أكثر الكتل تأثيراً في العالم، يقف اليوم "في عين العاصفة". إنها حالة من الانقسام الوجودي والتحول الداخلي العميق، تتجاوز أسبابه الخلافات السياسية التقليدية لتصل إلى جوهر الهوية والقيم والمعنى. مشهد يتجسد في لقطة واحدة مكثفة: شابان يهوديان، أحدهما يلف نفسه بالعلم الإسرائيلي، والآخر يرفع لافتة "ليس باسمنا"، وكلاهما يرى في الآخر تعبيراً عن مسار مختلف لمستقبل هويتهما.

لفهم هذه العاصفة، لا يكفي مجرد رصد الأحداث السياسية اليومية. فالقوى التي تحركها أعمق وأكثر تعقيداً، وتتطلب بوصلة تحليلية قادرة على كشف الآليات الخفية للتغيير الاجتماعي. يهدف هذا الكتاب إلى تشريح هذا التحول الكبير، لا لإصدار الأحكام أو الانحياز لطرف، بل للسعي نحو فهم عميق وجذري. إنه محاولة لرسم خريطة لهذا الزلزال الحضاري، وتقديم إطار يساعدنا على الإبحار في خضمه.

البوصلة التحليلية: نظرية الأنماط الديناميكية

ينطلق هذا الكتاب من إطار نظري تكاملي طورناه وهو "**نظرية الأنماط الديناميكية**". هذه النظرية ليست مجرد إضافة أكاديمية، بل هي المحرك الفكري الذي تقوم عليه فصول الكتاب بأكملها. في صميمها، تكمن فكرة جوهرية: الواقع الاجتماعي ليس مجموعة من الكيانات الثابتة، بل هو **نسيج حي من "الأنماط" (Patterns) المتفاعلة**؛ وهذه الأنماط قد تكون أفكاراً، أو هويات ثقافية، أو "عصبيات" اجتماعية متماسكة، كالعصبية اليهودية الأمريكية التي هي موضوع دراستنا.

القانون الأساسي في هذه النظرية، والمستلهم من رؤية ابن خلدون الثاقبة، هو أن أي "نمط" ناجح يمر حتماً **بدورة حياة** يمكن التنبؤ بها (الولادة، النمو، الجمود، ثم التكسّر وإعادة التشكيل). بناءً على هذا الإطار، فإن "العصبية" اليهودية التي سادت في القرن العشرين كانت "نمطاً" قوياً وناجحاً، لكنه وصل اليوم إلى مرحلة الجمود. ويتعرض هذا النمط الآن لـ "طوفان ثقافي" عنيف، وهو ما نُعرّفه بأنه **تسارع هائل في عملية تحوّل الأنماط القديمة وولادة أنماط جديدة**، مدفوعاً بالثورة الرقمية وتغير القيم. هذا الطوفان هو ما دفع النمط القديم إلى "نقطة تشعّب" حتمية، ينهار فيها ليفتح المجال لأنماط جديدة تتنافس على تعريف المستقبل.

ولتفكيك هذه الظاهرة بشكل منهجي، تقدم النظرية ثلاث عدسات تحليلية نستخدمها على طول الكتاب:

- **محور الطاقة (Energy):** نتساءل عن الوقود الذي يغذي أي نمط ويبقيه حياً. قد يكون هذا الوقود هو المال، أو الاهتمام والانتباه، أو العواطف الجمعية مثل الخوف والأمل. في حالتنا، سنرى كيف كانت "طاقة" الصدمة التاريخية هي الوقود الأساسي الذي غذى نمط التماسك القومي لعقود.
- **محور البيئة (Ecology):** لا يوجد نمط في فراغ، بل يتفاعل مع الأنماط الأخرى المحيطة به في حالة صراع أو تكافل. على سبيل المثال، سنحلل كيف يتنافس نمط "الولاء القومي" مع نمط "العدالة الكونية" الناشئ داخل بيئة المجتمع اليهودي.
- **محور المقياس (Scale):** وهو البعد الأكثر ابتكاراً، حيث يفترض أن الأنماط الأساسية التي تحكم السلوك البشري **تكرر نفسها على مستويات مختلفة** (من الفرد إلى الحضارة)، تماماً كالأشكال الهندسية الكسورية (الفراكتلات). لهذا السبب، سنرى كيف أن نمط "الصراع بين الولاء للجماعة والولاء للقيم الكونية" الذي ندرسه اليوم، هو نفسه النمط الذي تكرر في سياقات تاريخية مختلفة تماماً، مثل فتنة "الولاء والعدالة" في صدر الإسلام، أو انشقاق اليسار الأمريكي في عصر فيتنام.

إن استخدام هذه الأدوات التحليلية معاً، بالاستعانة برؤى مفكرين كبار **كابن خلدون وغرامشي وجيدنز**، هو ما يمكننا من تقديم تحليل متكامل وعميق. يسير

الكتاب وفق هيكل منطقي، حيث ينتقل من تشريح "البنية المتماسكة" وكيفية بناء العصبية (الجزء الأول)، إلى تحليل "الطوفان الثقافي" ورسم خريطة الانقسام (الجزء الثاني)، ثم يغوص في "معركة السرديات" (الجزء الثالث)، ليختتم برؤية استشرافية للمستقبل (الجزء الرابع).

ملاحظة حول التأليف: الشفافية والتقنية

هذا الكتاب هو نتاج عملية تأليف فريدة تجمع بين الفكر البشري وقدرات الذكاء الاصطناعي. لقد قام المؤلف بوضع النظرية الأساسية، ورسم الإطار التحليلي، وتحديد مسار البحث، وإصدار الحكم النهائي على كل المخرجات. وفي المقابل، تم استخدام أداة الذكاء الاصطناعي كشريك في الحوار، ومساعد في البحث، وأداة لتطوير البنية التحريرية وصياغة النصوص، بناءً على توجيهات وأفكار المؤلف.

لمن هذا الكتاب، وما فائدته؟

هذا الكتاب موجه إلى كل من يسعى لفهم أعمق لأحد أهم التحولات الهوياتية في عصرنا:

- للمحلل السياسي والاستراتيجي الذي يريد تجاوز الأحداث اليومية إلى فهم الأنماط العميقة.
- لطالب علم الاجتماع والتاريخ الذي يبحث عن تطبيق عملي لنظريات الصراع الاجتماعي.
- ولكل مهتم بفهم كيف تتشكل الهويات وتتفاعل وتتحول في عالم اليوم.

فائدة الكتاب لا تكمن في تقديم إجابات نهائية، بل في منح القارئ **"صندوق أدوات فكري"** يمكنه من خلاله تحليل أي صراع هوياتي آخر. وفي الختام، إن هذا الكتاب ليس نبوءة، بل هو خريطة تحليلية لزلزال هوياتي عميق، على أمل أن تساعدنا على فهم ملامح التوازن الجديد الذي قد ينشأ من بين هذا التحول.

01

الجزء الأول:
تشريح الحصن
بناء العصبية وتماسكها

1

الجزء الأول:

تشريح الحصن - بناء العصبية وتماسكها

1 الفصل الاول: أنماط الشتات - خريطة العالم اليهودي عشية الطوفان

مقدمة الفصل:

قبل فهم بنية التماسك الاجتماعي التي تشكلت في منتصف القرن العشرين، لا بد من استيعاب طبيعة العالم الذي سبقها. ففي مطلع القرن العشرين، لم يكن هناك "مجتمع يهودي" واحد متجانس، بل كان هناك عالَمان يهوديان رئيسيان، لكل منهما "نمطه" الخاص في الحياة، وعصبيّته المختلفة، وعلاقته المتباينة مع محيطه. كان هذان العالمان هما أوروبا الشرقية وأوروبا الغربية. إن فهم هذين النمطين المتفاعلين هو مفتاح استيعاب موجات الهجرة الكبرى التي جعلت من أمريكا ساحة رئيسية ستتشكل فيها هوية يهودية جديدة.

1 المبحث الأول: نمط "الشتتل" - عصبية البيئة المغلقة في أوروبا الشرقية

في قلب الإمبراطورية الروسية، داخل ما كان يُعرف بـ "نطاق الاستيطان" (Pale of Settlement)، عاشت الغالبية العظمى من يهود العالم. لم تكن حياتهم مجرد حياة أقلية، بل كانت حياة محاطة بالقيود بالمعنى الحرفي والقانوني. لقد شكلت هذه البيئة الصعبة "نمط الشتتل" (Shtetl)، وهو نمط حياة القرية أو البلدة اليهودية الصغيرة، والذي تميز بالآتي:

1. **العزلة المفروضة:** لم تكن العزلة خياراً، بل كانت نتيجة قوانين تمنع اليهود من السكن في المدن الكبرى أو امتلاك الأراضي الزراعية. هذه العزلة أدت إلى نشوء مجتمعات مغلقة ومتكافلة ذاتياً.
2. **العنف المنظم (المذابح – Pogroms):** كانت موجات العنف المنظمة، التي شنتها السلطات القيصرية أو تغاضت عنها، جزءاً من الواقع المعاش. هذا

الخطر الدائم عزز الشعور بالهشاشة والحاجة إلى التماسك الداخلي كآلية دفاع أولية.

3. **عصبية دفاعية داخلية:** كانت العصبية هنا هي عصبية البقاء اليومي. لم تكن عصبية سياسية تسعى لحكم أو نفوذ، بل عصبية مجتمع صغير يحاول حماية نفسه من بيئة خارجية زاخرة بالتحديات. كان الولاء الأول للجماعة الدينية والثقافية، وليس لدولة كانوا يشعرون بالانفصال عنها.

4. **الهجرة كخيار أساسي:** في مواجهة الفقر والاضطهاد وانعدام الأفق، كانت الهجرة تمثل الحل الأبرز. لقد شكلت هذه الظروف "عامل دفع" (Push Factor) هائل، أدى إلى واحدة من أكبر الهجرات في التاريخ الحديث، حيث عبر الملايين من يهود أوروبا الشرقية المحيط الأطلسي، حاملين معهم نمط حياتهم ولغتهم (اليديشية) وتقاليدهم، وتوجهوا نحو الولايات المتحدة.

2 المبحث الثاني: نمط "الاندماج" - آمال عصر التنوير في أوروبا الغربية

على النقيض تماماً، كان يهود أوروبا الغربية (في ألمانيا، فرنسا، بريطانيا) يعيشون تجربة مختلفة. فبعد عصر التنوير وحصولهم على الحقوق المدنية، تبنوا "نمط الاندماج" (Assimilation). لقد رأوا أنفسهم جزءاً لا يتجزأ من أوطانهم الجديدة.

1. **المواطنة قبل الدين:** عرّفوا أنفسهم كمواطنين أولاً، وديانتهم شأن خاص. كانوا "ألماناً على الديانة الموسوية" أو "فرنسيين من أتباع العقيدة اليهودية".

2. **تراجع العصبية التقليدية:** مع صعودهم في المهن الحرة والأوساط الأكاديمية والتجارية، بدأت العصبية المجتمعية التقليدية تتراجع لصالح الولاء للدولة القومية.

3. **الإيمان بالتقدم:** كان هناك إيمان عميق بأن معاداة السامية هي من بقايا العصور السابقة، وأن العقلانية والتقدم سيؤديان إلى تراجعها. كان هذا هو أمل التنوير الليبرالي. هذا النمط من الاندماج هو الذي ستأتي المحرقة لتقوّض أسسه بالكامل، مما سيجعل الصدمة على ورثته أكثر وقعاً، لأنها لم تكن مجرد كارثة مادية، بل كانت انهياراً لحلم وفلسفة حياة كاملة.

3 المبحث الثالث: الساحة الأمريكية - تفاعل الأنماط في العالم الجديد

أصبحت الولايات المتحدة هي الساحة التي التقى فيها هذان النمطان وتفاعلا.

1. **الموجة الألمانية (القديمة):** كان المهاجرون الأوائل في القرن التاسع عشر من يهود ألمانيا. كانوا علمانيين، مندمجين، وينتمون للطبقة الوسطى. هم من أسسوا المؤسسات اليهودية الأولى (مثل المعابد الإصلاحية) وكانوا يمثلون واجهة الجالية اليهودية المقبولة في المجتمع الأمريكي.

2. **الموجة الشرقية (الجديدة):** في مطلع القرن العشرين، وصلت أعداد كبيرة من المهاجرين من أوروبا الشرقية. كانوا فقراء، متدينين، يتحدثون اليديشية، وعاشوا في تجمعات كثيفة ومغلقة مثل حي "الجانب الشرقي الأدنى" في نيويورك، محاولين إعادة خلق جوانب من "نمط الشتتل" في بيئتهم الجديدة.

3. **التوتر الداخلي:** خلق هذا الوضع توتراً ملحوظاً داخل المجتمع اليهودي الأمريكي. كان اليهود الألمان المستقرون ينظرون ببعض القلق إلى هؤلاء القادمين الجدد، خشية أن يؤدي مظهرهم وتقاليدهم التي بدت "مختلفة" إلى إثارة معاداة السامية والتأثير على الصورة المندمجة التي عملوا بجد لبنائها.

خاتمة الفصل:

عشية الحرقة، لم تكن هناك "عصبية يهودية أمريكية" واحدة موحدة. كان هناك مجتمع منقسم بين أقلية مندمجة ومستقرة، وأغلبية جديدة ومهاجرة تكافح من أجل البقاء. كانت هذه هي الأنماط المتنافسة التي شكلت المشهد. ستأتي الحرقة لتعمل كـ **"عامل صهر"** (Melting Factor)، حيث ستساهم الصدمة المشتركة في إذابة هذه الانقسامات القديمة، وتدفع الجميع نحو التوحد حول نمط جديد تماماً، وهو **نمط التماسك الدفاعي** الذي سنتناوله في الفصل التالي.

2 الفصل الثاني: الأعمدة الثلاثة للتماسك الاجتماعي

مقدمة الفصل:

بعد أن رسمنا في الفصل التمهيدي خريطة الأنماط المتنافسة في العالم اليهودي عشية الكارثة، نصل الآن إلى لحظة "الصهر العظيم". إن "العصبية" اليهودية الأمريكية التي هيمنت على النصف الثاني من القرن العشرين لم تكن مجرد تطور طبيعي للأنماط القديمة، بل كانت **بناءً هندسياً** واعياً وغير واعٍ، تم تشييده على أنقاض عالم انهار. هذا البناء، قام على ثلاثة أعمدة مترابطة، عمل كل منها على تقوية الآخرين، لتشكيل "نمط" ثقافي ونفسي وسياسي كان يبدو غير قابل للكسر. هذا الفصل مخصص لتشريح هذه الأعمدة الثلاثة.

1 المبحث الأول: الجرح التأسيسي - صدمة المحرقة وعقيدة "لن يتكرر هذا أبداً"

لفهم العصبية اليهودية الأمريكية في القرن العشرين، لا يمكن البدء من أي مكان سوى من الحفرة المظلمة التي خلفتها المحرقة. لم تكن المحرقة مجرد حدث تاريخي مأساوي، بل كانت بمثابة **"الثقب الأسود" النفسي** الذي ابتلع كل مفاهيم الوجود اليهودي السابقة وأعاد تشكيلها. هي **اللحظة الصفرية** التي انهارت فيها أنماط الاندماج والتنوير الأوروبي، وولدت من رحمها أنماط جديدة بالكامل. يمكن القول إنها كانت "نقطة التشعب" (Bifurcation Point) الأكثر عنفاً في التاريخ اليهودي الحديث، والتي أجبرت الوعي الجمعي على سلوك مسار جديد ومختلف جذرياً.

من الحدث إلى الصدمة: إعادة تعريف الوجود

إن الانتقال من "الحدث" إلى "الصدمة" ليس مجرد تغيير في التسمية، بل هو تحول في طبيعة الوعي. الحدث له بداية ونهاية، أما الصدمة (Trauma) فهي حدث لا ينتهي، بل يعيد تكرار نفسه في لاوعي الفرد والجماعة، ويصبح هو العدسة التي يتم من خلالها تفسير الحاضر والمستقبل. لقد غرست المحرقة في الوعي الجمعي اليهودي ما يمكن تشبيهه بـ "اضطراب ما بعد الصدمة الجماعي" (Collective PTSD)، **والذي تتجلى أعراضه في ثلاثة تحولات رئيسية:**

1. **اليقظة المفرطة (Hyper-vigilance):** حالة من التأهب الدائم لرصد أي خطر محتمل. لم يعد العالم مكاناً محايداً، بل أصبح مسرحاً لتهديدات كامنة، مما يتطلب قراءة مستمرة للنوايا والأحداث بحثاً عن أي إشارة لعودة الكارثة.

2. **التفكير الثنائي (Binary Thinking):** قسمت الصدمة العالم إلى ثنائيات حادة: أمان مطلق أو إبادة كاملة؛ قوة أو ضعف؛ معنا أو ضدنا. لم يعد هناك مجال للمناطق الرمادية، فالمنطقة الرمادية هي التي سمحت بحدوث ما حدث.

3. **فقدان الثقة بالآخر:** الدرس القاسي الذي تم استخلاصه هو أن لا أحد سيأتي لإنقاذك. لقد صمت العالم، وفشلت مؤسساته، وخانت قيم التنوير وعودها. هذه التجربة رسخت قناعة عميقة بأن البقاء يعتمد على القوة الذاتية المطلقة، وعلى التضامن الداخلي الحصري.

لقد أصبح هذا "**الجرح التأسيسي**" هو نظام التشغيل للوعي اليهودي الحديث.

و "**لن يتكرر هذا أبداً": هندسة عقيدة البقاء**، ومن رحم هذه الصدمة، ولدت العقيدة المركزية التي شكلت "**نمط**" القرن العشرين: "لن يتكرر هذا أبداً" (Never Again). هذه الجملة ليست مجرد شعار، بل كانت **برنامج عمل سياسي وأخلاقي متكامل**.

الأهم من الشعار نفسه هو **كيفية تفسيره**. كان من الممكن أن تُفسر هذه العبارة تفسيراً كونياً (Universalist): "لن نسمح بحدوث إبادة جماعية لأي شعب مرة أخرى". هذا التفسير كان سيؤدي إلى ولادة عصبية مختلفة، قائمة على التضامن مع كل المظلومين والدفاع عن حقوق الإنسان العالمية.

لكن الصدمة كانت أعمق من أن تسمح بمثل هذا التفسير. لقد فرضت التفسير الآخر، التفسير الخصوصي (Particularist): "**لن يتكرر هذا أبداً لنا**". هذا التفسير، الذي يبدو بسيطاً، غيّر كل شيء. لقد حوّل التركيز من المسؤولية الأخلاقية تجاه العالم إلى واجب البقاء تجاه الذات. وبناءً على هذا التفسير، أصبحت القوة العسكرية، والردع، والولاء المطلق للجماعة، والتشكيك في نوايا الآخرين ليست مجرد خيارات سياسية، بل ضرورات أخلاقية للحيلولة دون تكرار الكارثة. لقد تم "تأميم" الأخلاق لتخدم هدف البقاء القومي.

المحرقة كـ "طاقة" و"نمط": منظور نظري

بتطبيق أدوات "نظرية الأنماط الديناميكية"، يمكننا تحليل ما حدث بشكل أكثر دقة:

- **الطاقة (Energy):** كانت المحرقة بمثابة انفجار هائل لـ "**الطاقة**" النفسية والعاطفية. طاقة الخوف، والغضب، والحزن، والإحساس بالظلم، كلها شكلت الوقود الذي غذى النمط الجديد. عقيدة "**لن يتكرر هذا أبداً**" كانت هي الآلية التي وجهت هذه الطاقة الهائلة وحولتها من مجرد رد فعل نفسي إلى مشروع سياسي منظم.
- **البيئة (Ecology):** لقد دمرت المحرقة "البيئة" القديمة التي كانت تعيش فيها الأنماط اليهودية السابقة (نمط الاندماج، نمط الاشتراكية، إلخ). وفي هذا الفراغ البيئي، لم يكن هناك منافس حقيقي لـ "**نمط البقاء القومي**" الذي ولد من رحم الصدمة. لقد امتلك شرعية مطلقة لأنه قدم الإجابة الوحيدة والمقنعة على السؤال الوجودي الأكبر: كيف نمنع الإبادة؟
- **النمط (Pattern):** لقد خلق هذا العمود التأسيسي "**نمطاً سلوكياً**" عميقاً: نمط "**التضامن الدفاعي**". أي نقد خارجي، مهما كان موضوعياً، لم يعد يُرى كفرصة للنقاش، بل كإشارة خطر تستدعي تفعيل آلية الدفاع، وهي الاصطفاف الداخلي، وإسكات الأصوات الناقدة، وتصنيف الخصم ضمن خانة "العدو".

لقد كانت صدمة المحرقة هي الأساس الصلب الذي لا يقبل النقاش، وهي الشرعية المطلقة التي سيتم بناء العمودين التاليين عليها. فبدون فهم عمق هذا الجرح، وكيفية تحوله إلى عقيدة سياسية، سيبدو كل ما تلاه من أحداث غامضاً وغير مفهوم. لقد وفرت المحرقة "لماذا"، وسيأتي العمودان التاليان ليقدما إجابة "كيف".

2 المبحث الثاني: المشروع الصهيوني كمركز عاطفي وروحي

إذا كانت المحرقة هي السؤال الوجودي عن الضعف، فإن قيام دولة إسرائيل قُدّم على أنه الإجابة الحاسمة والنهائية. لم يكن المشروع الصهيوني مجرد فكرة سياسية بين أفكار أخرى، بل تحول في وعي يهود ما بعد المحرقة إلى "**الرد العلاجي**" على الصدمة، والضمانة المادية الوحيدة لتحقيق عقيدة "لن يتكرر هذا أبداً". لقد مثل

الانتقال من حالة "الضحية" السلبية إلى حالة "الفاعل" القادر على التحكم بمصيره. هذا التحول من فكرة إلى ضرورة نفسية هو الذي جعل دعم إسرائيل العمود الفقري للعصبية اليهودية الأمريكية.

من السياسة إلى علم النفس: إسرائيل كمرساة للهوية

قبل المحرقة، كانت الصهيونية تياراً سياسياً يواجه منافسة شرسة من تيارات أخرى (مثل البوندية الاشتراكية، أو دعاة الاندماج، أو الأرثوذكسية المناهضة للصهيونية). لكن بعد الكارثة، اكتسبت الصهيونية شرعية مطلقة. لم تعد تُناقش كبرنامج سياسي، بل تم تبنيها كعلاج نفسي. أصبحت إسرائيل **المرساة النفسية** التي تعلق بها وعي جماعي يغرق في بحر من الأسى وانعدام اليقين. هذا الارتباط النفسي العميق هو ما يفسر لماذا أصبح دعم الدولة أهم من أي شيء آخر. لقد تحولت العلاقة مع إسرائيل من علاقة سياسية إلى علاقة وجودية. لم تعد الدولة مجرد كيان سياسي يمكن نقده، بل أصبحت **رمزاً للبعث بعد الموت**، وأي تهديد لها يُستقبل ليس كخطر سياسي، بل كبداية محتملة لمحرقة جديدة.

هندسة الدعم: بناء آلة الولاء

هذا التحول النفسي لم يبق في حيز الشعور، بل تمت ترجمته إلى بنية تحتية مؤسسية هائلة في أمريكا. تم بناء شبكة من المنظمات التي كان هدفها الأساسي هو ضمان الدعم الأمريكي المطلق لإسرائيل سياسياً وعسكرياً ومالياً. منظمات مثل **"لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية" (AIPAC)** لم تكن مجرد جماعات ضغط، بل **كانت الذراع التنفيذية لهذا "النمط" الجديد. لقد عملت على:**

1. **ربط الهوية بالدعم:** جعلت الدعم المالي والسياسي لإسرائيل جزءاً لا يتجزأ من الحياة اليهودية المنظمة في أمريكا. التبرع لإسرائيل أصبح طقساً، وزيارتها أصبحت رحلة حج، والدفاع عنها في الجامعات أصبح واجباً.
2. **خلق إجماع نخبوي:** نجحت هذه المؤسسات في خلق إجماع شبه كامل بين قيادات المجتمع اليهودي على أن "ما هو جيد لإسرائيل هو جيد لليهود".
3. **توجيه الطاقة:** استوعبت هذه المؤسسات **"طاقة"** الخوف والغضب التي خلقتها المحرقة، ووجهتها نحو هدف محدد وملموس: تقوية دولة إسرائيل.

الصهيونية كـ "نمط جذب": منظور نظري

من منظور "**نظرية الأنماط الديناميكية**"، كان المشروع الصهيوني هو "**النمط**" الأكثر نجاحاً وقوة في "بيئة" ما بعد الحرقة. لقد أصبح هو "**نقطة الجذب**" (Attractor) **المهيمنة التي جذبت إليها كل الطاقات والموارد:**

- **الطاقة:** استوعب طاقة الخوف وحولها إلى طاقة بناء وعمل سياسي.
- **البيئة:** في بيئة دمرت فيها كل الأنماط المنافسة، قدم النمط الصهيوني الخيار الوحيد الذي بدا منطقياً وفعالاً.
- **النتيجة:** أصبح الولاء لإسرائيل هو **المحور الذي تدور حوله العصبية اليهودية الأمريكية**. لم يعد ممكناً تعريف الهوية اليهودية في أمريكا دون تحديد الموقف من إسرائيل. هذا الربط العضوي بين الهوية والدولة هو ما جعل أي نقد للدولة لاحقاً يُعتبر بمثابة نقد للذات والهوية نفسها، وهو ما مهد الطريق للعمود الثالث والأخير.

3 المبحث الثالث: معاداة السامية كجدار خارجي

إذا كانت الحرقة هي الأساس، والصهيونية هي البناء، فإن معاداة السامية كانت هي **الجدار الخارجي** الذي يحيط بالحصن ويزيد من تماسكه. لقد عمل هذا العمود كآلية تذكير مستمرة بالخطر الكامن في الخارج، وتبرير الحاجة إلى البقاء في الداخل متحدين.

من التهديد الحقيقي إلى الأداة الوظيفية

لا شك أن معاداة السامية هي ظاهرة تاريخية حقيقية وخطيرة. لكن في سياق بناء العصبية بعد الحرقة، اكتسبت وظيفة جديدة. لم تعد مجرد تهديد يجب مواجهته، بل **أصبحت أيضاً أداة وظيفية لضبط الجماعة وتعزيز تماسكها. تم ذلك عبر آليتين:**

1. **التوحيد في مواجهة العدو المشترك:** لا شيء يوحد أي مجموعة بشرية مثل وجود عدو خارجي. الخطر الحقيقي أو المتخيل لمعاداة السامية كان يقلل من أهمية أي خلافات داخلية. فالصراعات حول اللاهوت أو السياسة الأمريكية تبدو ثانوية عندما يكون "وجود" الجماعة نفسه على المحك.

2. **التوظيف كآلية دفاعية (Weaponization):** هذه هي النقطة الأكثر حساسية وتأثيراً. لقد تم استخدام تهمة معاداة السامية بشكل فعال كـ "**سلاح دفاعي**" لإسكات وتخوين أي صوت نقدي حاد تجاه إسرائيل.

- **ضد غير اليهود:** أي سياسي أو أكاديمي أو منظمة تنتقد سياسات إسرائيل بشكل جذري، كان من السهل وصمها بمعاداة السامية، وبالتالي نزع الشرعية عنها وعزلها.
- **ضد اليهود:** كان هذا السلاح أكثر فتكاً عند استخدامه داخلياً. أي يهودي يخرج عن الإجماع ويتبنى نقداً راديكالياً كان يواجه تهمة "**كراهية الذات**" (Self-hatred) أو "الخيانة". هذا لم يكن مجرد خلاف فكري، بل كان يهدد الفرد بـ "النبذ الاجتماعي" من جماعته، وهو ثمن نفسي باهظ جداً.

البيئة المعادية كشرط لبقاء النمط

باستخدام لغة "**نظرية الأنماط الديناميكية**"، يمكن القول إن "**نمط البقاء القومي**" يحتاج إلى بيئة معادية ليبقى قوياً ومبرراً.

- **البيئة (Ecology):** يعمل هذا النمط على تفسير بيئته المحيطة بطريقة تؤكد صحة فرضياته الأولية. فهو يبحث بنشاط عن أدلة تؤكد أن "العالم معادٍ"، ويتجاهل أو يقلل من شأن الأدلة التي تناقض ذلك.
- **الطاقة:** تهمة معاداة السامية تولد **طاقة الخوف والغضب** اللازمة لشحن العصبية بشكل مستمر، وتبرر الحاجة للمزيد من الدعم المالي والسياسي للمؤسسات التي تحمي الجماعة.

بهذا، اكتمل بناء النسيج الاجتماعي. أساس من الصدمة التي لا تقبل الجدال، وبناء سياسي يمثل العلاج، وجدار خارجي من الخطر الدائم الذي يمنع أي أحد من المغادرة. هذه الأعمدة الثلاثة مجتمعة خلقت عصبية قوية ومتماسكة، وأنتجت سردية جامعة هيمنت على نصف قرن، وهي سردية "أخلاقية البقاء" التي سنناقشها في الفصل التالي.

4 المبحث الرابع: بناة التوافق - الفاعلون في بناء العصبية

إن الطاقة النفسية الهائلة التي فجرتها المحرقة كانت لتتبدد لولا وجود شبكة من "المهندسين" الذين عملوا على توجيهها وبناء الهياكل القادرة على احتوائها وتوظيفها. لم تكن العصبية نتاجاً عفوياً للصدمة، بل كانت مشروعاً مُهندساً قادته مجموعة من المؤسسات والأفراد الذين شكلوا "القيادة العضوية" لهذا النمط الجديد. لقد عمل هؤلاء المهندسون على جبهات متعددة ومتكاملة: سياسية، تنظيمية، أيديولوجية، ومالية، لبناء الحصن حجراً فوق حجر.

أولاً: المهندسون السياسيون وهندسة الإقناع

كان التحدي الأكبر هو ترجمة المخاوف الداخلية للجماعة اليهودية إلى لغة تفهمها وتتبناها القوة العظمى الجديدة في العالم: الولايات المتحدة. هذه المهمة، التي يمكن تسميتها بـ "هندسة الإقناع"، قادتها بشكل أساسي "لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية" (AIPAC) ومنظمات أخرى، عبر استخدام ترسانة من السرديات المصممة بعناية لمخاطبة كل مركز قوة في واشنطن.

السردية الاستراتيجية: "إسرائيل كأصل في الحرب الباردة" لمخاطبة البنتاغون ووزارة الخارجية و"صقور" الحرب الباردة، تم تقديم إسرائيل ليس كقضية إنسانية، بل كضرورة استراتيجية. كانت الحجة براغماتية وواضحة: في خضم صراع عالمي مع الاتحاد السوفيتي، وفي منطقة شرق أوسطية متقلبة ومعادية للغرب، تمثل إسرائيل حليفاً ديمقراطياً مستقراً وموالياً يمكن الاعتماد عليه. قُدمت على أنها "حاملة طائرات أمريكية لا تغرق" في المنطقة، وقوة ردع إقليمية قادرة على حماية المصالح الأمريكية دون الحاجة لتدخل مباشر. وقد جاء انتصارها في حرب 1967 ليقدم الدليل القاطع على قيمتها كوكيل عسكري فعال للغرب.

السردية الأخلاقية: "واحة الديمقراطية وقيم الغرب" لمخاطبة الكونغرس والرأي العام، تم توظيف هذه السردية التي خاطبت هوية أمريكا نفسها. تم تصوير إسرائيل على أنها "الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط"، وأنها تشارك أمريكا قيمها الجوهرية كالحرية وحكم القانون. هذه السردية حلت بعبقرية معضلة "الولاء المزدوج"؛ فالولاء لإسرائيل لم يعد ولاءً لدولة أجنبية، بل أصبح تأكيداً على الولاء للقيم الأمريكية نفسها، وكأن دعم إسرائيل هو جزء من الدفاع عن الحضارة

الغربية ككل.

السردية الإنسانية: "المسؤولية الأخلاقية بعد المحرقة" لمخاطبة الضمير الأخلاقي للنخبة السياسية، تم استخدام سردية أكثر دقة. ركزت على أن العالم الغربي، بما فيه أمريكا، يتحمل مسؤولية أخلاقية تجاه الشعب اليهودي بسبب تقصيره في منع المحرقة. وعليه، فإن دعم قيام "ملاذ آمن" لليهود ليس مجرد خيار سياسي، بل هو واجب تاريخي وتكفير عن خطأ الماضي، وفرصة لـ "فعل الصواب" هذه المرة.

السردية السياسية: "قوة الصوت الواحد والتأثير الانتخابي" هذه كانت السردية الموجهة للسياسيين المنتخبين. كانت رسالتها عملية ومباشرة: المجتمع اليهودي، رغم صغر حجمه، يصوت ككتلة منظمة وموحدة في هذا الملف، وبنسب عالية في ولايات انتخابية حاسمة. كما أن الدعم المالي للحملات مرتبط بمواقف المرشحين. هذه السردية جعلت دعم إسرائيل ليس فقط سياسة خارجية حكيمة، بل سياسة داخلية ذكية ومجزية انتخابياً.

ثانياً: مهندسو الإجماع وصناعة الصوت الواحد

كانت فعالية السرديات السابقة تعتمد على شرط أساسي: أن يتحدث المجتمع اليهودي بصوت واحد. لكن الواقع كان عكس ذلك تماماً، فقد كان أرخبيلاً متناحراً. وهنا برز دور "مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الأمريكية الكبرى" كـ "مهندس للإجماع".

واجه قادة مثل ناحوم غولدمان[1] تحدياً هائلًا في جمع هذا الشتات. فالانقسامات كانت عميقة بين الصهاينة وغير الصهاينة، وبين التيارات الدينية المختلفة، وبين المنظمات المتنافسة. لكن حدثين تاريخيين عظيمين فرضا الوحدة فرضاً: أولاً، هول المحرقة الذي جعل الانقسام الداخلي ترفاً مميتاً. وثانياً، معركة الاعتراف بدولة إسرائيل عام 1948 التي أثبتت أن النصر السياسي مستحيل بدون عمل جماعي.

بناءً على ذلك، اتبع مهندسو الإجماع استراتيجية ذكية تقوم على التركيز على "القاسم المشترك الأدنى" وهو أمن إسرائيل، مع ترك حرية الاختلاف في القضايا

(1) **ناحوم غولدمان** (Nahum Goldmann): قائد صهيوني بارز ومؤسس ورئيس "المؤتمر اليهودي العالمي" لسنوات طويلة. يُقدمه الكتاب كأحد "مهندسي الإجماع" الرئيسيين وقادة "مؤتمر الرؤساء". تمثلت مهمته التاريخية في التحدي الهائل المتمثل بجمع الشتات التنظيمي اليهودي المتنافس، وإدارة خلافاته الداخلية لخلق "جبهة موحدة".

الأخرى. عبر دبلوماسية داخلية صبورة، نجحوا في إدارة الخلافات وخلق "جبهة موحدة" ظاهرياً. هذا "الصوت الواحد" كان إنجازاً سياسياً مصنوعاً، وليس حالة طبيعية، لكنه كان الإنجاز الذي منح العصبية نفوذها الأسطوري.

ثالثاً: المهندسون الأيديولوجيون وحراس الحدود

لكل بناء حدود. تولت "رابطة مكافحة التشهير" (ADL) ومؤسسات فكرية أخرى دور المهندس الأيديولوجي الذي يرسم ويحرس حدود الخطاب المقبول. لقد عملوا على توسيع تعريف معاداة السامية ليشمل أشكالاً كثيرة من النقد الحاد لإسرائيل، مما خلق بيئة فكرية تجعل من المكلف جداً الخروج عن الإجماع. لقد كانوا بمثابة "المراقب للحدود" الذين يمنعون تسلل الأفكار "الخطرة" إلى داخل البناء، ويعاقبون من يحاول الخروج منه بتهمة "كراهية الذات" أو "الخيانة".

رابعاً: المهندسون الماليون والروحيون

خلف الكواليس، عمل نوعان آخران من المهندسين. المهندسون الماليون، المتمثلون في نخبة من العائلات المانحة، الذين وفروا "الطاقة" المالية اللازمة لتشغيل كل هذه الآلة السياسية والإعلامية. وبجانبهم، عمل المهندسون الروحيون، من قادة الحركات الدينية، على إضفاء الشرعية الأخلاقية على هذا المشروع السياسي، ودمج دعم إسرائيل في نسيج الحياة الدينية ليهود أمريكا.

خاتمة المبحث:

بهذا نرى أن "عصبية البقاء" لم تكن مجرد رد فعل نفسي، بل كانت مشروعاً متكاملاً قادته شبكة من المهندسين السياسيين والفكريين والماليين الذين نجحوا في تحويل ألم الماضي إلى قوة منظمة في الحاضر. لقد بنوا معاً "نمطاً" قوياً ومستقراً، له مؤسساته التي تحركه، وأيديولوجيته التي تحميه، وطاقته التي تغذيه. هذا البناء الهندسي المحكم هو ما سيجعل عملية تفكيكه وتصدعه لاحقاً، كما سنرى، عنيفة وصادمة.

3 الفصل الثالث: السردية الجامعة - "أخلاقية البقاء"

مقدمة الفصل:

إن الأعمدة الثلاثة - صدمة المحرقة، والمشروع الصهيوني، ومعاداة السامية - لم تبقَ مجرد ركائز معمارية منفصلة في بناء "الحصن المنيع". بل تفاعلت وامتزجت لتنتج **"نمطًا" ثقافيًا ونفسيًا متكاملاً**؛ عقيدة جامعة حكمت ردود الأفعال، وحددت الأولويات، ورسمت الخطوط الأخلاقية. هذه العقيدة هي ما يمكننا تسميته بـ

"أخلاقية البقاء" (An Ethic of Survival).

لم تكن هذه الأخلاقية مجرد فكرة، بل كانت **برنامجًا للوجود**، له مبادئه وقواعده الصارمة التي تبدو منطقية وحتمية عند النظر إليها من خلال عدسة الصدمة التأسيسية. يهدف هذا الفصل إلى تفكيك المبادئ الأساسية لهذه السردية، لفهم المنطق الداخلي الذي منح "العصبية" قوتها وتماسكها الفولاذي.

1 المبحث الأول: المبدأ الأول - الوحدة غير المشروطة كضرورة وجودية

المبدأ الأول والأكثر أهمية في "أخلاقية البقاء" هو أن الوحدة الداخلية ليست مجرد خيار سياسي أو اجتماعي، بل هي **ضرورة وجودية مطلقة**. لقد تم استخلاص هذا المبدأ مباشرة من الدرس الأكثر قسوة للمحرقة: الانقسام هو دعوة مفتوحة للإبادة. "البيت المنقسم على نفسه لا يمكن أن يصمد"، خصوصًا إذا كان هذا البيت محاصراً بما يُنظر إليه كعالم معادٍ.

بناءً على هذا المبدأ، لم يعد الخلاف الداخلي أو النقد الجذري يُرى كجزء من نقاش صحي، بل أصبح يُفسر على أنه **خطر وجودي وخيانة**. إن أي صدع في جدار الحصن يمكن أن يكون هو الثغرة التي سيتسلل منها العدو. هذا المنطق هو الذي أعطى الشرعية لعمل "مهندسي الإجماع" في "مؤتمر الرؤساء"؛ فمهمتهم لم تكن مجرد توحيد الصفوف لتحقيق مكاسب سياسية، بل كانت، من منظور هذه الأخلاقية، مهمة مقدسة للحفاظ على بقاء الجماعة.

لقد أدت هذه القناعة إلى خلق بيئة ثقافية تضع ضغطاً هائلاً من أجل الامتثال. فأنت إما جزء من الصف الواحد الذي يضمن البقاء، أو أنك تقف في الجانب الآخر

مع أولئك الذين يهددون هذا البقاء. لا توجد منطقة وسطى. هذا المبدأ هو الذي سيجعله لاحقاً من المستحيل على هذا "النمط" القديم أن يفهم أو يستوعب شعار الأجيال الجديدة "ليس باسمنا"، لأنه من منظور "أخلاقية البقاء"، هذا الشعار ليس مجرد معارضة سياسية، بل هو انتحار جماعي.

2 المبحث الثاني: المبدأ الثاني - القوة كفضيلة أخلاقية عليا

"أخلاقية البقاء" أحدثت انقلاباً في هرم القيم التقليدي. في الكثير من النظم الأخلاقية، سواء الدينية أو العلمانية، تُعتبر فضائل مثل الرحمة والتواضع والمسامحة قيماً عليا. لكن من منظور الصدمة، فإن **"الخطيئة" الكبرى التي أدت إلى المحرقة كانت هي "الضعف"**. الضعف هو الذي سمح بحدوث الكارثة.

وبمنطق عكسي صارم، إذا كان الضعف هو الخطيئة الكبرى، فإن **الفضيلة الأخلاقية العليا يجب أن تكون هي "القوة"**. القوة العسكرية، القوة السياسية، القوة الاقتصادية؛ لم تعد هذه مجرد أدوات، بل أصبحت هي بحد ذاتها دليلاً على الصواب الأخلاقي. القوة هي الضمانة العملية الوحيدة لتحقيق عقيدة "لن يتكرر هذا أبداً".

هذا الانقلاب في مفهوم الفضيلة هو الذي يفسر الاحتفاء غير المحدود بالقوة العسكرية الإسرائيلية داخل أوساط العصبية التقليدية. لم تكن مجرد مصدر فخر قومي، بل كانت **تجسيداً للفضيلة**، ودليلاً على أن اليهود قد تعلموا الدرس القاسي من التاريخ. هذا المبدأ هو الذي يوفر الغطاء الأخلاقي لاستخدام القوة، حتى لو بدت مفرطة بمعايير أخرى، لأنها تُستخدم في سياق تحقيق الهدف الأسمى، وهو ضمان البقاء.

3 المبحث الثالث: المبدأ الثالث - الشك المنهجي بالآخر

المبدأ الثالث الذي يحكم هذه المنظومة هو **الشك المنهجي والعميق في نوايا "الآخر"**، أي العالم غير اليهودي. لقد حطمت المحرقة الثقة التي كانت قائمة في "نمط الاندماج" الأوروبي. لقد أثبتت التجربة أن الحكومات والمؤسسات الدولية والكنائس والجيران يمكن أن يقفوا صامتين، أو متواطئين، في مواجهة الإبادة.

الدرس المستفاد هو أن الاعتماد على وعود الآخرين أو على "الضمير العالمي" هو ضرب من السذاجة القاتلة. الفرضية الأساسية التي تعمل بها "أخلاقية البقاء" هي أن العالم الخارجي، في أفضل أحواله، غير مبالٍ بمصير اليهود، وفي أسوأ أحواله، معادٍ لهم بشكل دفين.

هذا الشك المنهجي هو الذي يغذي وظيفة "الجدار الخارجي" الذي يمثله رصد معاداة السامية. إن أي انتقاد دولي لإسرائيل، خصوصاً من مؤسسات مثل الأمم المتحدة، لا يُقرأ في سياقه السياسي، بل يُفسر فوراً على أنه دليل جديد يؤكد الفرضية القديمة: "العالم ضدنا مرة أخرى". هذا الشك يخلق حالة من العزلة النفسية التي تعزز بدورها الحاجة إلى الوحدة الداخلية والقوة الذاتية، مما يجعل المنظومة كلها دائرة مغلقة ومكتفية ذاتياً.

خاتمة الفصل:

هكذا، نرى كيف أن المبادئ الثلاثة: **الوحدة غير المشروطة، والقوة كفضيلة، والشك بالآخر**، قد اندمجت لتشكل "أخلاقية البقاء"؛ وهي سردية جامعة متماسكة ومنطقية داخلياً. لقد كانت هذه السردية هي الروح التي سكنت جسد "البناء"، وهي "**النمط**" **المستقر** الذي حدد هوية يهود أمريكا لعقود.

لكن هذا البناء، الذي بدا مثالياً في قدرته على ضمان البقاء، كان يحمل في داخله تناقضاً عميقاً: كيف يمكن لمجتمع ليبرالي في معظمه أن يتبنى هذه الأخلاقية القومية المتصلبة؟ إن الآليات المعقدة التي تم بناؤها لإدارة هذا التناقض ومنعه من الانفجار هي موضوع الفصل التالي، حيث سندرس "الهدنة الكبرى" التي حافظت على استقرار هذا النمط الهش.

4 الفصل الرابع: الهدنة الكبرى - فن إدارة التناقض الداخلي

مقدمة الفصل:

في الفصول السابقة، قمنا بتشريح "البناء الاجتماعي" الذي بنته "عصبية البقاء". لكن يبقى هناك لغز محوري: كيف تمكن هذا البناء، الذي يتطلب ولاءً قومياً محافظاً، من الصمود لعقود بينما كانت غالبية سكانه، كما تشير كافة البيانات الديموغرافية، من الليبراليين التقدميين في حياتهم الأمريكية؟ هذا الفصل مخصص لحل هذا اللغز.

سوف نكشف هنا عن الآليات الخفية والاتفاقات غير المكتوبة التي شكلت "**الهدنة الكبرى**"، وهي العقد الاجتماعي الداخلي الذي حكم المجتمع اليهودي الأمريكي وأدار تناقضاته ببراعة. سنستكشف كيف تم بناء جدار ناري بين القيم، ومن هم "المهندسون" الذين برروا هذا الفصل، وما هي الأدوات التي استُخدمت لضبط أي تمرد على هذه الهدنة. إن فهم هذه الهندسة الداخلية هو المفتاح لفهم سبب صمود هذا البناء طويلاً، والسبب الذي سيؤدي الى انهياره لاحقاً.

1 المبحث الأول: مبدأ "فصل الساحات" - ليبرالي في الداخل، واقعي في الخارج

حجر الزاوية في "الهدنة الكبرى" كان مبدأ "فصل الساحات"، وهو بناء جدار نفسي وسياسي محكم يفصل بين عالمين:

1. **ساحة أمريكا:** هنا، تم تشجيع اليهود على أن يكونوا مواطنين أمريكيين نموذجيين، يتبنون القيم الليبرالية ويدافعون بشراسة عن الحقوق المدنية، وحقوق الأقليات، والفصل بين الدين والدولة.
2. **ساحة إسرائيل:** هنا، تم تجميد القيم الليبرالية وتطبيق منطق مختلف تماماً، هو منطق "الواقعية السياسية" (Realpolitik). تم تبرير ذلك بأن إسرائيل تعيش في "غابة" معادية، وأن قوانين الغابة تختلف عن قوانين المجتمع المدني المستقر في أمريكا.

هذه الازدواجية الوظيفية سمحت لليهودي الأمريكي بأن يكون عضواً في "الاتحاد الأمريكي للحريات المدنية" (ACLU) وفي "لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية" (AIPAC) في نفس الوقت، دون أن يشعر بتناقض حاد. لقد كانت آلية نفسية معقدة وفعالة لإدارة "عدم التوازن" الداخلي.

2 المبحث الثاني: مهندسو الفكر ورُسُل "الصهيونية الليبرالية"

إن "الهدنة الكبرى" لم تكن مجرد صفقة سياسية صامتة، بل كانت مدعومة ببناء فكري ونظري متين، عمل على جعل هذه الهدنة ممكنة ومقبولة عقلياً. لقد كان هناك "رسل" ومفكرون، غالبًا ما تمركزوا في أقسام العلوم السياسية والتاريخ في الجامعات الكبرى، وفي صفحات الرأي للصحف المرموقة (مثل نيويورك تايمز)، وفي المجلات الليبرالية (مثل The New Republic في عصرها الذهبي)، وكانت مهمتهم هي بناء جسر فكري فوق الهوة الفاصلة بين الليبرالية والصهيونية.

لقد قاموا بهذه المهمة عبر تطوير مجموعة من السرديات العلمية والتاريخية المقنعة التي شكلت عقيدة "الصهيونية الليبرالية":

1. **تنظير "الصهيونية كحركة تحرر قومي"** كانت هذه هي الحجة الأقوى والأكثر فعالية لمخاطبة العقل الليبرالي. تم تقديم الصهيونية ليس كمشروع استعماري، بل كـ **"حركة التحرر القومي للشعب اليهودي"**، تماماً مثل حركات التحرر الأخرى في آسيا وأفريقيا التي كان اليسار والليبراليون يدعمونها.

   - **المنطق:** كما أن للشعب الهندي أو الجزائري الحق في تقرير مصيره وإقامة دولته، فإن للشعب اليهودي، الذي عانى من الاضطهاد لقرون، نفس الحق الطبيعي.
   - **الرسالة:** دعم الصهيونية ليس خيانة للقيم التقدمية، بل هو تطبيق لهذه القيم على الشعب اليهودي. هذه الحجة نزعت فتيل النقد الماركسي والليبرالي المناهض للاستعمار، ووضعت الصهيونية في صف "قوى الخير" التاريخية.

2. **تنظير "مأساة الحقوق المتصارعة"** للتوفيق بين دعم إسرائيل والتعاطف مع محنة الفلسطينيين، طور المفكرون الليبراليون سردية **"المأساة التاريخية"**. هذه السردية تتجنب لغة الخير والشر المطلقة، وتقدم الصراع على أنه **"تصادم تراجيدي بين حقين تاريخيين"** لشعبين كلاهما يطالب بنفس الأرض.

   - **المنطق:** الفلسطينيون لديهم مظالم حقيقية، واليهود لديهم حاجة وجودية حقيقية لدولة آمنة. إنها مأساة لا يوجد فيها طرف شرير بالكامل.

- **الرسالة:** تسمح هذه السردية للمثقف الليبرالي بأن يبدو متعاطفاً ومتوازناً، لكنها في النهاية تصل إلى نتيجة براغماتية: بما أن كلا الطرفين على حق، وبما أن بقاء اليهود على المحك، فإن الخيار العملي والأخلاقي الوحيد هو دعم بقاء وقوة الطرف الأضعف تاريخياً (اليهود)، مع الدعوة إلى تسوية "إنسانية" في المستقبل. لقد كانت طريقة راقية للجمع بين التعاطف الليبرالي والقرار الواقعي الداعم لإسرائيل.

3. **تنظير "الاحتلال المستنير" (لفترة ما بعد 1967)** لفترة طويلة، خصوصاً قبل الانتفاضة الأولى، عمل المفكرون على تقديم الاحتلال الإسرائيلي على أنه نوع مختلف وأكثر "إنسانية" من الاحتلالات الأخرى.

- **المنطق:** تم التركيز على أن إسرائيل لم تضم الأراضي، وقدمت خدمات اقتصادية وتعليمية، وحافظت على القانون. تم تصوير الاحتلال كحالة مؤقتة و"مستنيرة" فرضتها ضرورات الدفاع عن النفس.

- **الرسالة:** هذه السردية سمحت بتبرير الواقع على الأرض، وقدمت الأمل بأن هذا الوضع "غير المثالي" يمكن حله عبر مفاوضات مستقبلية، مما أعطى الليبراليين سبباً لتأجيل المواجهة الأخلاقية مع حقيقة الاحتلال.

4. **تنظير "المعيار المزدوج"** كان هذا هو السلاح الفكري الدفاعي الأهم. أي نقد دولي حاد لإسرائيل، خصوصاً من الأمم المتحدة أو العالم الثالث، كان يتم تفنيده ليس بالدخول في تفاصيل النقد، بل بالهجوم على شرعية الناقد نفسه، عبر حجة **"المعيار المزدوج"**.

- **المنطق:** "لماذا يتم التركيز على إسرائيل وحدها بينما تتجاهل الأمم المتحدة الفظائع التي ترتكبها الديكتاتوريات العربية والصين والاتحاد السوفيتي؟".

- **الرسالة:** هذا النقد ليس موضوعياً، بل هو استمرار لمعاداة السامية في ثوب جديد، وهو نفاق سياسي. هذه الحجة كانت فعالة جداً لأنها حولت النقاش من أفعال إسرائيل إلى نوايا منتقديها،

خلاصة المبحث:

لقد نجح هؤلاء "الرسل" والمفكرون في خلق منظومة فكرية متكاملة هي "**الصهيونية الليبرالية**". هذه المنظومة لم تكن مجرد دعاية، بل كانت تنظيراً علمياً وتاريخياً معقداً، قدم لغة ومفاهيم سمحت للمثقفين والسياسيين والقادة المجتمعيين الليبراليين بالدفاع عن دعمهم لإسرائيل دون الشعور بأنهم يخونون قيمهم الأساسية. لقد كانت هذه الهندسة الفكرية هي **الغراء الذي حافظ على "الهدنة الكبرى"** متماسكة لعقود، وانهيار هذه المنظومة الفكرية بالذات هو ما نشهده اليوم، وهو جوهر الأزمة الحالية.

3 المبحث الثالث: آليات الضبط والسيطرة - قوة "التصفية المدنية"

لكل نظام أدوات لفرض الامتثال. عندما كانت الأصوات المعارضة تتجاوز الخطوط الحمراء وتهدد هذه الهدنة، كانت المؤسسة تستخدم أدوات قوة ناعمة لكنها مدمرة، وهي ما نسميه "**التصفية المدنية**"، والتي كانت تتجنب العنف الجسدي وتعتمد على آليات أخرى:

1. **التصفية الأخلاقية (تهمة كراهية الذات):** كان السلاح الأول هو تدمير المكانة الأخلاقية للمعارض عبر وصمه بـ "اليهودي الكاره لذاته"، وتقديمه كشخص غير متزن نفسياً بدلاً من كونه صاحب موقف فكري، مما يؤدي إلى نبذه اجتماعياً.
2. **التجفيف المالي والمهني:** عبر شبكات النفوذ، كان يتم الضغط لقطع التمويل عن المنظمات المعارضة، أو عرقلة المسار المهني للأكاديميين والحاخامات الذين يخرجون عن الصف، وهو ما يلمح إليه سيناريو "التطهير" المستقبلي.
3. **الحصار الإعلامي وتشويه السمعة:** تجاهل الأصوات المعارضة في الإعلام المركزي، أو شن حملات لتصويرها على أنها هامشية وغير جديرة بالثقة.
4. **الاستثناء العنيف (الهامش المتطرف):** من المهم التأكيد على أن هذه الآليات الناعمة كانت استراتيجية المؤسسة المركزية. وعلى الهامش، وجدت جماعات متطرفة مثل "**رابطة الدفاع اليهودية**" (JDL) التي مارست العنف الجسدي والتهديد، لكنها كانت تمثل الاستثناء الذي رفضته المؤسسة نفسها للحفاظ على صورتها العامة.

خاتمة الفصل:

وهكذا، نرى أن استقرار "البناء و النسيج الاجتماعي" لم يكن نتيجة إجماع طبيعي، بل كان نتيجة "**هدنة كبرى**" مُدارة ببراعة، تقوم على فصل الساحات، ويدعمها تنظير فكري متين، وتحرسها آليات ضبط اجتماعي صارمة. لقد كان هذا التوازن المصنوع هو الذي ضمن بقاء "**نمط العصبية**" لعقود. لكن هذه الهدنة، بكل تعقيداتها، كانت هشة، لأنها قامت على تأجيل المواجهة الأخلاقية وليس حلها. وعندما أتى "الطوفان الثقافي"، كما سنرى في الجزء التالي، كان أول ما جرفه في طريقه هو هذا الجدار الهش الذي يفصل بين القيم والأفعال.

02

02

الجزء الثاني:
الطوفـــان الثقـافـي
لحظـة تصدّع الحصن

2

الجزء الثاني:

الطوفان الثقافي - لحظة تصدّع الحصن

مقدمة الجزء:

في الجزء الأول، قمنا بتشريح "البناء الاجتماعي" الذي شيده "مهندسو العصبية" على مدى نصف قرن. لقد رأينا كيف عمل هذا "**النمط**" المستقر ببراعة، وكيف أدار تناقضاته عبر "هدنة كبرى". لكن لكل بناء مهما كان صلباً نقطة ضعف، ولكل توازن نقطة انهيار. كانت نقطة الضعف الكامنة في هذا البناء هي **الفجوة الأخلاقية بين "أخلاقية البقاء" القومية**، وبين قيم العدالة الكونية الكامنة في التراث اليهودي نفسه.

في هذا الجزء، سنحلل كيف أن "**طوفانًا ثقافيًا**" عنيفاً ومتسارعاً ضرب هذا البناء، وكشف عن هذه الفجوة، ودفع "**النمط**" القديم إلى "**نقطة تشعب**" حاسمة. سنستكشف القوى التي حركت هذا الطوفان، ونرسم خريطة للواقع الجديد المتشظّي الذي خلّفه وراءه.

5 الفصل الخامس: محفزات الانهيار

مقدمة الفصل:

إن انهيار "الهدنة الكبرى" وتصدع "العصبية" لم يحدثا في فراغ. لقد كان نتيجة تفاعل عاملين رئيسيين عملا معاً كعاصفة مثالية، فجّرا الأزمة وكشفا التناقضات التي كانت تُدار بنجاح في السابق. **العامل الأول** هو ثورة تكنولوجية غيرت طبيعة المعلومات، **والعامل الثاني** هو حدث سياسي تجاوز في حجمه قدرة السرديات القديمة على احتوائه. يهدف هذا الفصل إلى تحليل هذين المحفزين اللذين أديا إلى "الصدمة الأخلاقية" الكبرى التي نعيش تداعياتها اليوم.

1 المبحث الأول: المُسرّع الرقمي - كسر احتكار السردية

لعقود طويلة، تميز "البناء المنيع" بقدرته الفائقة على ضبط السردية. كانت المعلومات حول إسرائيل وفلسطين تصل إلى يهود أمريكا بعد أن تمر عبر فلاتر متعددة: قيادات المنظمات الكبرى، الصحف اليهودية المركزية، والحاخامات في معابدهم. كانت هذه "البنية التحتية المعلوماتية" تضمن تقديم رواية متماسكة تخدم "أخلاقية البقاء". لكن الثورة الرقمية جاءت كطوفان جرف هذه البنية التحتية بالكامل، وعملت **كمُسرّع لانهيار الإجماع** عبر عدة آليات.

1. إلغاء الوساطة وخلق "القرينة البصرية": لقد حطمت وسائل التواصل الاجتماعي احتكار السردية عبر:

إلغاء الوساطة (Disintermediation). لم تعد الأخبار تأتي من المؤسسة، بل أصبحت تتدفق مباشرة من هاتف ناشط في غزة أو جندي إسرائيلي على تيك توك إلى هاتف طالب يهودي في جامعة كولومبيا. هذا التدفق المباشر خلق حالة من **"القرينة البصرية" (Visual Evidence)** التي يصعب دحضها. فيديوهات الدمار، وصور الضحايا، وشهادات المعاناة لم تعد مجرد "ادعاءات"، بل أصبحت واقعاً مرئياً وملموساً. لقد تفوقت سلطة الصورة الحية على سلطة المقال التحليلي المكتوب بعناية. لقد أكدت أحداث 2023-2025 هذه الظاهرة بشكل قاطع. ففي حين واجه الإعلام الغربي التقليدي انتقادات واسعة لفشله في تقديم تغطية "دقيقة وعادلة وشاملة" بسبب العوائق السياسية واللوجستية والانحيازات المسبقة، برزت وسائل التواصل الاجتماعي كـ "قوة هائلة" في ملء هذه الفجوات وتقديم "سرديات بديلة". أصبحت هذه المنصات أدوات لا غنى عنها ليس فقط لـ "بناء السرديات" بل أيضاً كـ "أدوات للبقاء والتوثيق" لمن هم على الأرض، مما أدى إلى "دمقرطة المعلومات" (democratization of information) والسماح لوجهات النظر الفلسطينية بالوصول مباشرة إلى جمهور عالمي.

وبرزت منصة TikTok بشكل خاص كـ "نافذة العالم على الحرب"، خاصة بالنسبة للجيل Z. لقد أتاحت المنصة انتشار مقاطع فيديو مباشرة من غزة، تظهر "العنف الوحشي" والمعاناة الإنسانية بشكل خام وغير خاضع للرقابة.

هذا التدفق المباشر للمعلومات المرئية هو ما جعل السردية الفلسطينية "بارزة جداً" (really prominent) لدى هذا الجيل، الذي تشكل وعيه بعيداً عن وسائل الإعلام التقليدية، مما ساهم بشكل كبير في تعميق "الصدع الجيلي" الذي سنناقشه لاحقاً.

2. **الاستقطاب الخوارزمي:** لم تكتفِ وسائل التواصل الاجتماعي بعرض المعلومات، بل عملت خوارزمياتها على تسريع الانقسام. فالشاب اليهودي الذي يبدي اهتماماً بسيطاً بمنشور ينتقد سياسة إسرائيل، تقوم الخوارزمية فوراً بدفعه أعمق في هذا المسار، عارضة عليه المزيد من المحتوى المشابه. والعكس صحيح. هذا **الاستقطاب الخوارزمي** خلق "غرف صدى" معزولة، حيث أصبح كل طرف يعيش في فقاعة معلوماتية تعزز قناعاته وتصور الطرف الآخر كشيطان، مما جعل الحوار شبه مستحيل.

ومع ذلك، لا بد من الإشارة إلى أن هذه البيئة الرقمية تحمل تحدياتها الخاصة، أبرزها "الاستقطاب المتزايد" الناتج عن "غرف الصدى" الخوارزمية، والانتشار السريع للمعلومات المضللة والدعاية، مما يتطلب مهارات عالية في التمييز النقدي لدى المستخدمين.

3. **تشكيل المجتمعات البديلة:** قبل العصر الرقمي، كان اليهودي الليبرالي الذي يشعر بعدم الارتياح تجاه سياسات إسرائيل يشعر بالعزلة داخل مجتمعه. لكن وسائل التواصل الاجتماعي سمحت لهذه الأصوات المتفرقة بالعثور على بعضها البعض وتشكيل مجتمعات افتراضية داعمة. منظمات مثل "الصوت اليهودي من أجل السلام" (JVP) و"لو ليس الآن" (IfNotNow) لم تكن لتصل إلى هذا الحجم من الانتشار والتأثير لولا قدرتها على تجنيد وتنظيم أعضائها عبر الإنترنت. لقد وفرت هذه المنصات "وطناً بديلاً" لأولئك الذين شعروا بأنهم منفيون من المؤسسة التقليدية.

2 المبحث الثاني: الصدمة الأخلاقية - حجم الفعل وتداعياته

الثورة الرقمية كانت هي القناة، لكن "الطوفان" كان بحاجة إلى محتوى صادم ليتدفق عبرها. لقد جاء هذا المحتوى مع العمليات العسكرية الأخيرة في غزة، والتي شكلت "**صدمة أخلاقية**" عميقة لأنها كانت مختلفة نوعياً وكمياً عن كل ما سبق.

1. **حجم الفعل والدمار:** لقد تجاوزت شدة العنف العسكري، والدمار الهائل للبنية التحتية، والعدد غير المسبوق للضحايا المدنيين، كل الصراعات السابقة. لم يعد من الممكن وضع ما يحدث بسهولة تحت عنوان "عملية محدودة للدفاع عن النفس". لقد جعل؛ "حجم **الفعل**" نفسه السرديات القديمة تبدو غير كافية وغير مقنعة في تبرير ما يظهر على الشاشات كل يوم.

2. **لغة الخطاب وأزمة الشرعية:** تزامنت شدة العنف مع لغة خطاب غير مسبوقة استخدمها بعض المسؤولين الإسرائيليين، والتي تم تفسيرها على نطاق واسع على أنها لغة تجرد الفلسطينيين من إنسانيتهم. هذه التصريحات، التي تم تداولها بشكل واسع على المنصات الرقمية، جعلت من المستحيل على "الصهيونيين الليبراليين" الدفاع عن الموقف من منطلق "القيم المشتركة".

والأهم من ذلك، هو وصول القضية إلى محاكم دولية (محكمة العدل الدولية ICJ) بتقارير أممية (مثل تقرير المقررة الخاصة فرانشيسكا ألبانيزي) تخلص إلى وجود "أسباب معقولة للاعتقاد بأن إسرائيل ارتكبت أعمال إبادة جماعية". لم تعد هذه التهمة مجرد شعار يرفعه المتظاهرون، بل أصبحت فرضية قانونية وأخلاقية جدية يناقشها العالم. ساهمت وسائل الإعلام الإسرائيلية ومنصات التواصل الاجتماعي بشكل كبير في نشر هذا الخطاب التحريضي الذي يدعم أفعال الإبادة، مما خلق "سرداً كاذباً يجرّد الفلسطينيين من إنسانيتهم"، بل وسمحت منصات مثل Meta (فيسبوك وإنستغرام) بتضخيم هذا المحتوى. لقد خلقت هذه "الأزمة في الشرعية الدولية" حالة من "عدم التوازن الثقافي" الحاد داخل وعي اليهودي الليبرالي، الذي يرى نفسه كمدافع عن القانون الدولي وحقوق الإنسان، ووجد نفسه أمام تنافر معرفي (cognitive dissonance) حاد.

خاتمة الفصل:

إن تفاعل المُسرّع الرقمي (الوسيلة) مع الصدمة الأخلاقية (الرسالة) هو ما فجر الأزمة. لقد دفعت هذه العاصفة المثالية "**نمط**" العصبية القديم إلى "**نقطة تشعب**" عنيفة. لم يعد من الممكن العودة إلى الوراء أو ترميم "الهدنة الكبرى". لقد انكسر الإجماع، وتصدع البناء المتماسك. والآن، لا بد لنا من رسم خريطة لهذا المشهد الجديد المتشظّي، وهو ما سنفعله في الفصل التالي، حيث سنحلل طبوغرافية الانقسام الكبير.

6 الفصل السادس: طبوغرافيا الانقسام الكبير

مقدمة الفصل:

إن "الطوفان الثقافي" و"الصدمة الأخلاقية" لم يتركا وراءهما فوضى عشوائية، بل أديا إلى تبلور انقسام جيولوجي عميق داخل المجتمع اليهودي الأمريكي. لم يعد المشهد كتلة واحدة ذات خلافات طفيفة، بل أصبح قارتين أيديولوجيتين يفصل بينهما صدع يتسع يوماً بعد يوم. يهدف هذا الفصل إلى رسم خريطة (طبوغرافيا) لهذا الانقسام الكبير عبر ثلاثة أبعاد متقاطعة: الأيديولوجيا، والجغرافيا، والديموغرافيا، لفهم بنية الصراع ومنطق توزيعه.

يُعد هذا التحول هو الأطروحة المركزية التي وثقها عالم الاجتماع دوف واكسمان (Dov Waxman)[1] في دراسته "مشكلة في القبيلة" (Trouble in the Tribe). يجادل واكسمان بأن إسرائيل، التي كانت تاريخياً "الأساس الموحِّد" ليهود أمريكا، قد "أصبحت بسرعة مصدراً لعدم الوحدة". لقد انتهى "عصر التضامن" القديم (old era of solidarity)، وبدأ "عصر جديد من الصراع اليهودي الأمريكي حول إسرائيل"، وهو بالضبط ما يهدف هذا الفصل إلى تشريح طوبوغرافيته. فلذا فإن هذا الفصل يهدف إلى رسم خريطة (طبوغرافيا) لهذا الانقسام الكبير عبر ثلاثة أبعاد متقاطعة: الأيديولوجيا، والجغرافيا، والديموغرافيا، لفهم بنية الصراع ومنطق توزيعه.

1 المبحث الأول: الخارطة الأيديولوجية - معسكران في حرب باردة

لقد تبلور الصراع في معسكرين رئيسيين، لكل منهما رؤيته للعالم وسرديته الخاصة، وبينهما "وسط ينهار".

1. **معسكر الولاء القومي (البناء التقليدي):** يتمسك هذا المعسكر بـ "أخلاقية البقاء" ويعتبر أن الدفاع غير المشروط عن دولة إسرائيل هو أساس الهوية اليهودية الحديثة. يسيطر هذا المعسكر على المؤسسات التقليدية الكبرى، ويميل إلى رؤية النقد الجذري للدولة كشكل من أشكال الخيانة أو معاداة السامية.

(1) **دوف واكسمان** (Dov Waxman): عالم اجتماع وأستاذ بارز متخصص في الدراسات الإسرائيلية والمجتمع اليهودي الأمريكي (مدير مركز UCLA للدراسات الإسرائيلية). يستشهد به الكتاب كمرجع أساسي عبر دراسته "مشكلة في القبيلة" ، التي توثق تحول إسرائيل من "أساس موحِّد" تاريخياً إلى "مصدر لعدم الوحدة" والصراع داخل المجتمع اليهودي الأمريكي

2. **معسكر العدالة الكونية (الطوفان الثقافي):** يعيد هذا المعسكر تعريف الهوية اليهودية على أساس قيم العدالة الاجتماعية العالمية والمبادئ الأخلاقية في التراث اليهودي. يرى أعضاؤه، ومعظمهم من الشباب، أن ولائهم الأول هو للمبادئ الأخلاقية وليس للدولة القومية، ويرفعون شعار "ليس باسمنا".

3. **الوسط المنهار:** بين هذين القطبين، تقف التيارات الليبرالية الصهيونية التقليدية (الممثلة في منظمات مثل "جي ستريت"). والتي تحاول التمسك بموقف "مؤيد لإسرائيل ومؤيد للسلام" ، لكنها تجد أرضيتها تتآكل بسرعة تحت ضغط الاستقطاب الحاد.

2 المبحث الثاني: الخارطة الجغرافية - معاقل الصراع وميادينه

هذا الانقسام الأيديولوجي له تجليات جغرافية واضحة، حيث يتركز كل معسكر في بيئة تعزز قناعاته وتحصنه ضد الآخر.

- **معاقل الولاء القومي:** يتركز هذا المعسكر في **أحياء ومناطق جغرافية كثيفة ومحددة**، خصوصاً تلك التي تقطنها أغلبية من اليهود الأرثوذكس. مناطق مثل **بورو بارك وويليامزبرغ في بروكلين**، أو **مدينة ليكوود في نيو جيرسي**، تعمل كـ "مجتمعات" اجتماعية مغلقة، تعزز التماسك وتحافظ على القيم التقليدية في مواجهة التيارات الخارجية.

- **معاقل العدالة الكونية:** على النقيض، ينتشر هذا التيار في **المدن الكبرى والمراكز الحضرية التقدمية** مثل نيويورك (مانهاتن)، ولوس أنجلوس، وسان فرانسيسكو. كما أن **الجامعات** هي الأرض الخصبة لنشاط منظماته الطلابية. هذه البيئات المنفتحة والمتنوعة هي التي تغذي أفكار العدالة الكونية وتعمق شعور الشباب بالتناقض بين قيمهم الليبرالية وسياسات الاحتلال.

- **الضواحي كساحة صراع:** تقع المعركة الحقيقية على "الوسط المنهار" في **الضواحي الميسورة** المحيطة بالمدن الكبرى. هذه المناطق هي موطن لأكبر تجمعات اليهود من التيارات المحافظة والإصلاحية. هنا، داخل المعبد الواحد أو العائلة الواحدة، يظهر الانقسام بحدته الكاملة، مما يجعل هذه الضواحي خط المواجهة الأول في هذه "الحرب الأهلية الثقافية الباردة".

3 المبحث الثالث: الخارطة الديموغرافية - محركات الانقسام العميقة

تعتبر التركيبة السكانية هي المحرك الأكبر والأكثر حسماً في هذا الصراع، ويمكن تحليلها عبر ثلاثة محاور.

1. **العمر (الصدع الجيلي):** هذا هو الانقسام الأعمق. يتركز "معسكر الولاء القومي" بشكل كبير بين **الأجيال الأكبر سناً (فوق 50 عاماً)**، الذين تشكل وعيهم بصدمة المحرقة وقيام إسرائيل. بينما يتألف "معسكر العدالة الكونية" بشكل أساسي من **الشباب (تحت 40 عاماً)**، الذين تشكل وعيهم في العصر الرقمي وتأثروا بحركات العدالة الاجتماعية.

2. **الانتماء الديني (الانقسام الطائفي):** يصطف **اليهود الأرثوذكس** بشكل شبه كامل مع "معسكر الولاء القومي". في المقابل، يشكل **اليهود بلا طائفة (العلمانيون)**، وهم الشريحة الأسرع نمواً، قلب "معسكر العدالة الكونية". أما التيارات **الإصلاحية والمحافظة**، فتمثل "الوسط المنهار" الذي يمزقه الصراع من الداخل.

3. **التوجه السياسي (التناقض الحزبي):** هنا يكمن التناقض الحاد. الغالبية العظمى من يهود أمريكا (حوالي 75-70%) يصوتون **للحزب الديمقراطي** ويتبنون مواقف ليبرالية. هذا يخلق صراعاً بين قيمهم التقدمية وبين الدعم التاريخي لإسرائيل الذي تروج له المؤسسة التقليدية. الاستثناء الوحيد هم **اليهود الأرثوذكس**، الذين يمثلون المجموعة اليهودية الوحيدة التي تصو بأغلبية للحزب الجمهوري، مما يجعلهم متناغمين سياسياً وأيديولوجياً مع "معسكر الولاء القومي".

يدعم تحليل واكسمان هذه المحركات الديموغرافية بشكل مباشر. يصف الانقسامات الأعمق (the most significant cleavages) بأنها تقع بين "الشباب والكبار" (the young and the old) وبين "الأرثوذكس وغير الأرثوذكس" (Ortho-dox and non-Orthodox). ويشير إلى أن "اليهود الشباب الأكثر ليبرالية" أصبحوا "مغتربين" (alienated) عن المؤسسة المنظمة، ليس فقط بسبب سياسات إسرائيل، ولكن أيضاً بسبب التغيرات داخل المجتمع اليهودي الأمريكي نفسه، بما في ذلك صعود الشريحة العلمانية (بلا طائفة).

إن إصرار "معسكر الولاء القومي" على التضامن غير المشروط، ومهاجمة الأصوات الناقدة بوصفها "غير مخلصة"، هو بالضبط ما يدفع الأجيال الجديدة، التي لا تشارك "تبجيل" (veneration) الجيل الأكبر للدولة، نحو "معسكر العدالة الكونية"

خاتمة الفصل:

إن الانقسام الذي يعصف بالمجتمع اليهودي الأمريكي ليس عشوائياً، بل هو انقسام بنيوي منظم. إنه صدع عميق له خطوطه الجغرافية والديموغرافية الواضحة. سواء نظرنا إلى خريطة المدن، أو إلى هرم الأعمار، أو إلى الانتماءات الدينية، نرى نفس النمط الكسوري يتكرر: صراع بين "نمط" البقاء القومي المتجذر في الماضي، و"نمط" العدالة الكونية الذي يدفعه جيل جديد نحو المستقبل. هذا الصراع ليس ظاهرة فريدة من نوعها، وكما سنرى في الفصل التالي، هو تكرار لأنماط تاريخية عميقة لانهيار العصبيات.

7 الفصل السابع: الصدع المتكرر - نماذج تاريخية لانهيار العصبيات

مقدمة الفصل

إن الانقسام العميق الذي حللناه في المجتمع اليهودي الأمريكي، بصدامه بين "معسكر الولاء القومي" و"معسكر العدالة الكونية"، قد يبدو للوهلة الأولى ظاهرة فريدة مرتبطة بسياقها التاريخي الخاص. لكن "**نظرية الأنماط الديناميكية**" تفترض أن هذا النوع من الصراع ليس استثناءً، بل هو "**نمط كسوري متكرر**" (**Fractal Pattern**) يظهر مراراً وتكراراً في تاريخ الجماعات البشرية عندما تواجه تحولات كبرى.

يهدف هذا الفصل إلى إثبات هذه الفرضية عبر "الخروج" من دراسة حالتنا الحالية والنظر في نموذجين تاريخيين من سياقين مختلفين تماماً: أحدهما قديم من المنطقة العربية، والآخر حديث من الغرب. سنرى كيف أن نفس الديناميكية - الصراع بين عصبية البقاء القائمة وعقيدة العدالة الكونية الناشئة - كانت هي المحرك لانهيار التماسك في كلتا الحالتين، مما يثبت أننا أمام قانون شبه حتمي في تطور العصبيات.

1 المبحث الأول: النموذج القديم - فتنة "الولاء" و"العدالة" في صدر الإسلام

تمثل الفتنة الكبرى في صدر الإسلام الحالة الكلاسيكية لتصدع عصبية شديدة التماسك تحت وطأة نجاحها الساحق.

- "**العصبية**" **التأسيسية (نمط البقاء والتوسع):** تشكلت "عصبية" العرب المسلمين الأوائل حول الدعوة الجديدة ومشروع الفتوحات. كانت "نمطاً" قوياً للغاية، يقوم على الولاء المزدوج للقبيلة والدولة الإسلامية الناشئة، وعلى منطق "نحن" (المؤمنون الفاتحون) في مواجهة "هم" (الإمبراطوريات القديمة).
- "**الطوفان**" **(الظروف البيئية الجديدة):** أدى التوسع الهائل للدولة إلى "طوفان" من التغيرات: تدفق الثروات، ودخول ملايين من الشعوب غير العربية (الموالي) إلى الإسلام. هذا الواقع الجديد خلق "بيئة" لم تكن العصبية الأولى مهيأة لها، وأثار أسئلة جديدة حول تعريف "المسلم" ومن له الحق في السلطة والمكانة.

- **تصادم الأنماط (نقطة التشعب): هنا تصادم "نمطان" رئيسيان:**

1. **نمط "الولاء القومي/القبلي":** مثله الحكم الأموي الذي رأى أن السيادة والقيادة حق طبيعي للعرب الذين حملوا عبء الدعوة والفتح. هذا يوازي تماماً منطق **"معسكر الولاء القومي"**.
2. **نمط "العدالة الكونية/الإيمانية":** مثله معارضو بني أمية (من الموالي والخوارج وأطياف أخرى) الذين طالبوا بأن يكون أساس التفاضل هو التقوى والمساواة بين جميع المسلمين، بغض النظر عن عرقهم أو أسبقيتهم. لقد كانوا يطالبون بتطبيق المبدأ القرآني "إن أكرمكم عند الله أتقاكم"، وهو ما يوازي منطق **"معسكر العدالة الكونية"**.

- **النتيجة (التكسّر):** أدى هذا الصدام إلى **الفتنة الكبرى**، وهي "نقطة تشعب" عنيفة كسرت النمط الأول وأدت إلى انقسامات سياسية ومذهبية لا تزال آثارها قائمة حتى اليوم.

2 المبحث الثاني: النموذج الحديث - انشقاق اليسار الأمريكي في عصر فيتنام

يوضح هذا النموذج نفس الديناميكية في سياق غربي حديث وعلماني، مما يثبت أن النمط يتجاوز الهويات الدينية.

- **"العصبية" التأسيسية (اليسار القديم):** كانت "عصبية" اليسار الأمريكي التقليدي ممثلة في الحركة العمالية والنقابات. كان "نمطهم" يركز على أولويات اقتصادية (حقوق العمال)، وقومية (الدفاع عن أمريكا ضد الشيوعية)، مع السعي للإصلاح من داخل النظام. كانوا يمثلون **"البناء التقليدي"** لليسار.
- **"الطوفان" الثقافي:** جاء "طوفان" الستينيات حاملاً معه حرب فيتنام، وحركة الحقوق المدنية، وصعود الثقافة المضادة. خلق هذا الطوفان جيلاً جديداً ذا وعي مختلف تماماً.
- **تصادم الأنماط (نقطة التشعب):**

1. **نمط "الولاء الوطني/الإصلاحي":** اليسار القديم الذي رأى في نشطاء الحركة الطلابية الراديكاليين تهديداً للبلاد وتجاوزاً غير مقبول. هذا يوازي **"معسكر الولاء القومي"**.

2. **نمط "العدالة الكونية/الثورية":** "اليسار الجديد" الذي رأى في اليسار القديم جزءاً من "المؤسسة" الإمبريالية والعنصرية. كان ولاؤهم ليس لأمريكا، بل لقيم أممية مناهضة للاستعمار. رفعوا شعار "ليس باسمنا" ضد حرب فيتنام، تمامًا كما يُرفع اليوم ضد سياسات إسرائيل، وهو ما يوازي "**معسكر العدالة الكونية**".

- **النتيجة (التكسّر):** انشقاق تاريخي مرير أضعف اليسار الأمريكي لعقود، حيث أصبح كل طرف يرى الآخر خائناً لمبادئه الأساسية.

خاتمة الفصل: القانون الكسوري للصراع الأهلي

على الرغم من الفجوات الزمنية والثقافية الهائلة بين الأمثلة الثلاثة - الفتنة الإسلامية، وانشقاق اليسار الأمريكي، والصراع اليهودي المعاصر - فإن **النمط الديناميكي** الذي يحكمها يكاد يكون متطابقاً. في كل حالة، نرى "عصبية" متماسكة وناجحة، تواجه "طوفاناً" من التغيرات التي تكشف عن تناقض كامن بين الولاء للجماعة وقيم العدالة الكونية.

إن فهم هذا "القانون الكسوري" للصراع الداخلي ضروري لأنه يخبرنا أن ما يحدث في المجتمع اليهودي الأمريكي اليوم ليس مجرد خلاف سياسي عابر، بل هو صدع بنيوي عميق، من النوع الذي لا يؤدي إلى مصالحة سهلة، بل إلى تحولات تاريخية طويلة الأمد تعيد تعريف هوية الجماعة نفسها.

03

03

الجزء الثالث:

معركـة السرديـات - حـرب المواقع على هوية المستقبل

3

الجزء الثالث:

معركة السرديات - حرب المواقع على هوية المستقبل

مقدمـــة

بعد أن رسمنا في الجزء السابق خريطة الانقسام الجغرافي والديموغرافي، ننتقل الآن إلى ساحة المعركة الفعلية: **حرب الأفكار والسرديات**. هنا نطبق **نظرية غرامشي** في "حرب المواقع"، حيث يسعى كل معسكر ليس فقط للفوز بالنقاش، بل للسيطرة على "الحس السليم" وتحديد ما هو مقبول وما هو غير مقبول. في هذا الجزء، سنقوم بتشريح الفاعلين الذين يخوضون هذه الحرب، الأدوات التي يستخدمونها، والسرديات التي يقاتلون من أجلها.

8 الفصل الثامن: الفاعلون ومكبرات الصوت - تشريح آلة الصراع

1 المبحث الأول: هوليوود كأداة لـ "رفع السقف" وتطبيع النقد

لعقود طويلة، كانت "الهدنة الكبرى" تفرض سقفاً منخفضاً جداً للنقاش حول إسرائيل. كان النقد المسموح به محصوراً في إطار ضيق للغاية، وأي تجاوز له كان يعرّض صاحبه لـ "التصفية المدنية". لقد جاء الوسط الفني في هوليوود ليلعب دور "رافع السقف" (The Ceiling Raiser)، حيث قام بتحويل الخطاب المحظور إلى نقاش عام ومقبول. وقد تم ذلك عبر ثلاث آليات رئيسية:

1. **سلطة المشاهير في كسر المحرمات:** عندما يتحدث أكاديمي أو ناشط، يبقى تأثيره محدوداً في دوائر النخبة أو النشطاء. لكن عندما يتحدث ممثل حاصل على الأوسكار أو موسيقي لديه عشرات الملايين من المتابعين، فإن كلامه يخترق كل الحواجز. لقد استخدم المشاهير اليهود وغير اليهود في هوليوود منصاتهم **لتطبيع النقد (Normalizing Dissent)**. فجأة، لم يعد انتقاد سياسات إسرائيل حكراً على "الهامش المتطرف"، بل أصبح موقفاً يتبناه أشخاص محبوبون ومحترمون، مما منحه شرعية شعبية هائلة.

2. **كسر حاجز الخوف:** كانت "التصفية المدنية" تعتمد بشكل أساسي على الخوف من فقدان المستقبل المهني. لكن بنية هوليوود، ورغم وجود ضغوط من المنتجين، توفر درجة من الاستقلالية للنجوم الكبار. كل فنان مشهور يتبنى موقفاً نقدياً ويتجاوز العاصفة بنجاح، يرسل رسالة قوية للآخرين: "**يمكن كسر حاجز الخوف**". هذا يخلق تأثيراً متراكماً، حيث يشجع صمود فنان ما عشرات الفنانين الأقل شهرة على التعبير عن آرائهم، مما يوسع دائرة النقد ويجعل من الصعب السيطرة عليها.

3. **صناعة السرديات البديلة:** إن القوة الأعظم لهوليوود لا تكمن في تصريحات فنانيها، بل في قدرتها على **صناعة السرديات**. فيلم سينمائي واحد ينجح في أنسنة التجربة الفلسطينية ويقدمها كقصة إنسانية عالمية عن الظلم والمقاومة، يمكن أن يفعل ما لا تستطيع آلاف المقالات فعله. إنه يقدم للجمهور "**سردية بديلة**" عاطفية وقوية، تتنافس مباشرة مع سردية "أخلاقية البقاء". هذا هو "رفع السقف" في أعمق صوره: ليس فقط تغيير الآراء، بل تغيير القصص التي تشكل وعي الناس.

إن دور هوليوود كـ "رافع للسقف" هو ما يجعلها خطيرة جداً في نظر "معسكر الولاء القومي"، وهو ما يفسر الحملات الشرسة التي تُشن على الفنانين الذين يخرجون عن الصف. فهم لا يعبرون عن رأي فقط، بل يغيرون حدود المكن في واحدة من أهم ساحات "حرب المواقع" الثقافية في العالم.

2 المبحث الثاني: آلة "معسكر الولاء القومي" - قوة المؤسسة والهرمية

هذا المعسكر مؤسسي للغاية، ويعتمد على بنية تحتية هرمية وذات تمويل ضخم تم بناؤها على مدى عقود.

- **الفاعلون (The Drivers):**
  - **AIPAC:** المحرك السياسي والمالي الأقوى، المتخصص في الضغط على الكونغرس وتوجيه الدعم السياسي.
  - **مؤتمر الرؤساء:** يمثل الإجماع المؤسسي للقيادة التقليدية ويعمل كصانع للجبهة الموحدة.

- **ADL (رابطة مكافحة التشهير):** تعمل كذراع دفاعي أيديولوجي، تضع أطر الخطاب وتصنف الكثير من الانتقادات الحادة لإسرائيل على أنها معادية للسامية.

- **مكبرات الصوت (The Amplifiers):**

- **الإعلام المكتوب:** مجلات فكرية محافظة مثل Commentary ووكالات أنباء مثل Jewish News Syndicate (JNS).
- **الإعلام المرئي والمسموع:** يجد المعسكر صدى قوياً في قنوات مثل Fox News وكتابات الرأي في صحف كبرى مثل Wall Street Journal.
- **المفكرون:** شخصيات ذات تأثير واسع في الأوساط المحافظة مثل بن شابيرو وبريت ستيفنز.

3 المبحث الثالث: شبكة "معسكر العدالة الكونية" - قوة الحراك واللامركزية

هذا المعسكر أقل هرمية ويعتمد بشكل كبير على الحراك الشعبي، والتنظيم الرقمي، والشبكات اللامركزية.

- **الفاعلون (The Drivers):**

- **Jewish Voice for Peace (JVP):** هي المنظمة الرائدة والأكثر تنظيماً في الجناح المناهض للصهيونية، وتقود الحراك على الأرض.
- **IfNotNow:** تمثل ذراع الحراك الشبابي الذي يعتمد على أساليب العصيان المدني المباشر لاستهداف المؤسسات التقليدية.
- **T'ruah:** منظمة الحاخامات من أجل حقوق الإنسان، والتي توفر الغطاء الديني والأخلاقي التقدمي للحركة.

- **مكبرات الصوت (The Amplifiers):**

- **الإعلام المكتوب:** مجلة Jewish Currents التي تعد المنصة الفكرية الأهم لهذا التيار، ومواقع إخبارية مثل Mondoweiss.

- **المفكرون:** شخصيات ذات وزن فكري كبير مثل ناعوم تشومسكي، والكاتب بيتر بينارت الذي يعتبر صوته الأكثر تأثيراً في توثيق التحول الفكري لهذا الجيل.
- **وسائل التواصل الاجتماعي:** هي مكبر الصوت الأقوى لهذا المعسكر بلا منازع، حيث تُستخدم كأداة رئيسية للتعبئة ونشر السردية البديلة.

4 المبحث الرابع: "الوسط المنهار" ومحاولة الحفاظ على التوازن

هذا المبحث يحلل الفاعلين الذين يحاولون الوقوف في المنتصف، والذين يفقدون الأرضية لصالح القطبين المتصارعين.

الفاعلون ومكبرات الصوت:

- **J Street:** هي المحرك الأساسي لهذا التيار، وتعمل كلوبي بديل لـ AI-PAC يهدف إلى دعم حل الدولتين وينتقد الاستيطان.
- **صحيفة The Forward:** تمثل منصة إعلامية مهمة تعكس طيفاً واسعاً من الآراء، لكنها لا تزال معقلاً لهذا التيار الوسطي.
- **كتاب الرأي في الإعلام السائد:** شخصيات مثل توماس فريدمان في صحيفة New York Times يمثلون هذا الصوت الليبرالي الصهيوني التقليدي.

5 المبحث الخامس: ساحة القانون - المعركة على تعريف "العدالة"

إذا كانت هوليوود هي ساحة حرب الروايات العاطفية، فإن المؤسسة القانونية (المحاكم، كليات الحقوق، المنظمات الحقوقية) هي ساحة حرب التعريفات والسوابق القضائية. هنا، الصراع ليس مجرد انتفاضة، بل هو "حرب مواقع" طويلة الأمد وممنهجة، يخوضها كل معسكر بأسلحة مختلفة تماماً.

أولاً: "معسكر الولاء" وسلاح القانون

بالنسبة لهذا المعسكر، العدالة تعني في المقام الأول **حماية أمن وبقاء الجماعة**. لقد بنوا على مدى عقود آلة قانونية جبارة تعمل كـ "خط دفاع" لتحقيق هذا الهدف،

وتتركز قوتها في:

1. **رابطة مكافحة التشهير (ADL):** تُعتبر الذراع القانونية والأيديولوجية الأهم لهذا المعسكر. تاريخياً، كانت مهمتها محاربة معاداة السامية عبر القنوات القانونية والتشريعية. لكنها في العقود الأخيرة، وسعت مهمتها لتشمل محاربة الحركات المناهضة لإسرائيل، وعلى رأسها حركة المقاطعة (BDS). تعمل الـ ADL على صياغة قوانين على مستوى الولايات تجرّم مقاطعة إسرائيل، وتضغط على الجامعات لقمع الحراك الطلابي المؤيد لفلسطين بحجة أنه يخلق "بيئة معادية" للطلاب اليهود، وبالتالي ينتهك قوانين الحقوق المدنية.

2. **شبكة المحامين والمؤسسات الداعمة:** يمتلك هذا المعسكر شبكة واسعة من كبار المحامين والمكاتب القانونية التي تقدم خدماتها للدفاع عن إسرائيل والمؤسسات اليهودية في المحافل الدولية والمحلية، وغالباً ما تتشابه استراتيجياتهم مع تلك التي تستخدمها منظمات اليمين الديني مثل ADF.

3. **الاستراتيجية العامة :** استراتيجيتهم قانونية **دفاعية** بالأساس. هدفها هو استخدام القانون الأمريكي المحلي لحماية "البناء" من الهجمات، وتجريم أسلحة الخصم، والحفاظ على تدفق الدعم المالي والعسكري لإسرائيل دون عوائق قانونية.

ثانياً: "معسكر العدالة" وسلاح القانون كـ "كأداة للتغيير"

بالنسبة لهذا المعسكر، العدالة تعني تطبيق **القانون الدولي ومبادئ حقوق الإنسان العالمية** على الجميع بمساواة، بما في ذلك الفلسطينيون. هذا المعسكر أضعف من الناحية التنظيمية داخل المؤسسة القانونية اليهودية تحديداً، لكنه يستخدم سلاحاً مختلفاً وأكثر هجومية.

1. **سلاح القانون الدولي:** "أداتهم" الأساسية هي القانون الدولي الإنساني وقانون حقوق الإنسان. هم لا يركزون على القانون المحلي الأمريكي، بل يرفعون قضاياهم إلى مستوى أعلى، متهمين إسرائيل بارتكاب جرائم حرب، وانتهاك اتفاقيات جنيف، وممارسة الفصل العنصري (الأبارتايد). قضية جنوب أفريقيا في محكمة العدل الدولية هي التجسيد الأوضح لهذه الاستراتيجية.

2. **الحلفاء القانونيون:** بما أنهم يفتقرون إلى آلة قانونية ضخمة خاصة بهم، فإنهم يعتمدون على التحالف مع منظمات حقوقية أمريكية وعالمية كبرى، مثل "**مركز الحقوق الدستورية**" (CCR) و"الاتحاد الأمريكي للحريات المدنية" (ACLU) في قضايا معينة تتعلق بحرية التعبير، بالإضافة إلى منظمات حقوق الإنسان الدولية.

3. **الجيل الجديد من الحقوقيين:** بدأت تظهر منظمات يهودية تقدمية أصغر حجماً، يقودها جيل جديد من المحامين والناشطين، تركز على استخدام القانون لتحدي سياسات المؤسسة التقليدية.

إن ساحة القانون لم تنتفض، بل انقسمت على نفسها. "معسكر الولاء" يستخدم **القانون المحلي كدرع** لحماية مصالحه ومكتسباته. بينما يستخدم "معسكر العدالة" **القانون الدولي كأداة** لمهاجمة شرعية الوضع القائم. هذا الصدام ليس مجرد خلاف سياسي، بل هو صراع عميق بين رؤيتين متعارضتين للقانون نفسه: **قانون الدولة القومية وسيادتها** في مواجهة **قانون الإنسانية وحقوقها العالمية**.

خـــاتـمـــة

بعد تشريح هذه الآلات، نرى بوضوح طبيعة الصراع: إنه صراع بين **آلة مؤسسية هرمية ومركزية** (معسكر الولاء)، وبين **شبكة لامركزية ورقمية** (معسكر العدالة). فهم بنية هذه الجيوش هو المقدمة الضرورية لفهم طبيعة الأدوات والسرديات التي يستخدمونها في معركتهم، وهو ما سنتناوله في الفصل التالي.

9 الفصل التاسع: الآلة: تشريح لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية (AIPAC) – نمط ناجح في هندسة النفوذ

مقدمة

بعد المسح العام للفاعلين في المشهد السياسي الأمريكي، وحيث تتنافس آلاف جماعات المصالح على النفوذ والتأثير، تبرز لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية (AIPAC) كظاهرة فريدة ومعقدة. إنها ليست مجرد جماعة ضغط (لوبي) تقليدية؛ بل هي منظومة متكاملة، أو "آلة" كما يصفها المراقبون، تمكنت من تحقيق مستوى من التأثير يبدو غير متناسب على الإطلاق مع حجم الأقلية التي تدعي تمثيلها. هذا الفصل يسعى إلى تفكيك هذه الآلة، ليس فقط لوصف مكوناتها، بل لتحليل الديناميكيات التي تمنحها الحياة والقوة.

الإشكالية: كيف أصبحت منظمة تمثل أقلية صغيرة واحدة من أقوى جماعات النفوذ في أقوى دولة في العالم؟

تكمن الإشكالية المركزية لهذه الدراسة في هذا التناقض الظاهري. فالجالية اليهودية الأمريكية، التي تشكل أقل من 3% من سكان الولايات المتحدة، استطاعت من خلال هذه المنظمة أن تبني نفوذاً هائلاً في أروقة الكونغرس والبيت الأبيض، وأن تجعل من دعم إسرائيل حجر زاوية شبه مقدس في السياسة الخارجية الأمريكية. إن الإجابة على هذا السؤال تتطلب تجاوز التفسيرات السطحية التي تركز فقط على التبرعات المالية أو التنظيم السياسي. إنها تتطلب تشريحاً عميقاً لبنية الآلة، ومصادر طاقتها المتعددة، وقدرتها على التكيف مع بيئتها المتغيرة.

في هذا الفصل، سنطبق عدسة **"نظرية الأنماط الديناميكية"** لتحليل AIPAC ليس ككيان ثابت، بل كنظام حي يتفاعل مع بيئته. سنرى كيف **وُلد هذا النمط** كاستجابة تكيفية لضغوط محددة، وكيف تطور ليصل إلى **"حالة جذب"** (**Attractor State**) مستقرة هيمن من خلالها على بيئته السياسية لعقود، وكيف يواجه اليوم تحديات جديدة تدفعه نحو **"نقطة تشعب"** (**Bifurcation Point**) تجبره على التحول للبقاء.

1 المبحث الأول: الجذور والنشأة - ولادة الآلة

إن فهم الطبيعة الحالية لـ AIPAC يتطلب العودة إلى لحظة ولادتها، ليس كفعل إرادي محض، بل كعملية "تنظيم ذاتي" استجابةً لبيئة سياسية وقانونية معادية. لم تظهر الآلة من فراغ، بل من رحم الحاجة التاريخية والفشل النسبي للجهود التي سبقتها.

عالم ما قبل AIPAC: جهود مشتتة وحاجة تاريخية

في العقود التي سبقت تأسيس AIPAC، لم تكن الساحة الأمريكية خالية من جهود الضغط اليهودية والصهيونية. فقد كانت هناك شخصيات مؤثرة مثل الحاخام حاييم وايزمان الذي لعب دوراً في الضغط على إدارة الرئيس هاري ترومان للاعتراف بإسرائيل عام 1948. كما نشطت منظمات مثل "المجلس الصهيوني الأمريكي للطوارئ" (AZEC) خلال الحرب العالمية الثانية، والذي خلفه "المجلس الصهيوني الأمريكي" (AZC) في عام 1949 بهدف الضغط للحصول على مساعدات فيدرالية لإسرائيل.

ومع ذلك، كانت هذه الجهود تتسم بالتشتت والاعتماد على العلاقات الشخصية، وتفتقر إلى الهيكل التنظيمي الدائم والاحترافي القادر على ممارسة ضغط تشريعي ممنهج ومستمر. لقد كانت هذه المنظمات تعمل في الغالب كأذرع للعلاقات العامة، ولم تكن مصممة "للعبة واشنطن" المعقدة التي تتطلب متابعة يومية للتشريعات وبناء علاقات طويلة الأمد مع مئات المشرعين وموظفيهم. هذا الفراغ التنظيمي خلق حاجة ماسة إلى وجود هيئة مركزية ومحترفة يمكنها توحيد الجهود وتوجيهها بفعالية داخل الكونغرس.

الآباء المؤسسون واللحظة التاريخية: ولادة استجابةً للضغط

كانت ولادة AIPAC، أو بالأحرى سلفها المباشر، نتيجة لعاصفة مثالية من الضغوط التي هددت بتقويض جهود الضغط المؤيدة لإسرائيل في مهدها.

الأب المؤسس: آيزايا "سي" كينين (Isaiah "Si" Kenen) كان آيزايا كينين، الصحفي والمحامي الكندي المولد، هو المهندس الذي صمم "الآلة". لم يكن كينين مجرد ناشط، بل كان يمتلك فهماً عميقاً لآليات عمل واشنطن اكتسبه من خلال خبرته العملية.

بين عامي 1948 و1951، عمل كينين كمسؤول في وفد إسرائيل لدى الأمم المتحدة، والأهم من ذلك، كان **عميلاً أجنبياً مسجلاً** لدى وزارة العدل الأمريكية يعمل لصالح وزارة الخارجية الإسرائيلية. هذه التجربة المباشرة كعميل أجنبي لم تكن هامشية، بل كانت حاسمة في تشكيل رؤيته. لقد أدرك كينين بوضوح الفرق بين تأثير "سفارة أجنبية" وتأثير "ناخبين أمريكيين". وكما كتب لاحقاً، "السفارات تتحدث إلى وزارة الخارجية، والناخبون الأمريكيون يتحدثون إلى أعضاء الكونغرس". كانت مهمته هي الانتقال من الفئة الأولى إلى الثانية.

اللحظة التاريخية: عاصفة من القيود في الفترة ما بين 1953 و1954، واجهت الحركة الصهيونية في أمريكا أزمة وجودية تمثلت في قيدين رئيسيين فرضا عليها **إعادة تنظيم نفسها بشكل جذري:**

1. **قيد دبلوماسي: مذبحة قبية (أكتوبر 1953):** قامت وحدة خاصة من الجيش الإسرائيلي بقيادة أرييل شارون بشن غارة انتقامية على قرية قبية في الضفة الغربية، مما أسفر عن مقتل أكثر من 60 قروياً فلسطينياً، معظمهم من النساء والأطفال. أثارت هذه الحادثة موجة عارمة من الإدانة الدولية وتغطية صحفية سلبية للغاية في الولايات المتحدة، مما وضع الحركة المؤيدة لإسرائيل في موقف دفاعي حرج.
2. **قيد قانوني: إدارة أيزنهاور وقانون تسجيل العملاء الأجانب (FARA):** كانت إدارة الرئيس دوايت أيزنهاور، التي كانت علاقاتها مع إسرائيل فاترة في تلك الفترة، تشتبه بأن "المجلس الصهيوني الأمريكي" (AZC) يتلقى تمويلاً من الحكومة الإسرائيلية. وبناءً على ذلك، بدأت الإدارة بالتحقيق في إمكانية إجبار المجلس على التسجيل كـ "عميل أجنبي" بموجب قانون FARA. بالنسبة لكينين، الذي كان قد ترك لتوه منصبه كعميل مسجل، كان هذا التهديد بمثابة ضربة قاضية محتملة لأي جهد ضغط فعال.

النمط الناشئ: اللوبي "الأمريكي" كان الحل الذي انبثق من هذه الضغوط المزدوجة عبقرياً في بساطته التنظيمية. بدلاً من محاربة تهمة "الوكالة الأجنبية"، تم التحايل عليها. في عام 1954، أسس كينين "اللجنة الصهيونية الأمريكية للشؤون العامة" (AZCPA) كذراع ضغط منفصلة قانونياً عن المجلس الصهيوني الأمريكي. على الرغم

من أن القيادة والأعضاء كانوا هم أنفسهم تقريباً، وأن التمويل الأولي جاء بشكل سري عبر قنوات من الوكالة اليهودية، إلا أن الهيكل الجديد كان له ميزة حاسمة: لقد تم تسجيله كمنظمة أمريكية (لاحقاً بموجب المادة 501c4 من قانون الضرائب)، وتمويله يعتمد على تبرعات غير معفاة من الضرائب، مما يحرره من القيود المفروضة على النشاط السياسي ويمنحه درعاً قانونياً ضد تهمة العمل كوكيل أجنبي.

في عام 1959، تم تغيير الاسم مرة أخرى إلى "لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية" (AIPAC)، وهو تغيير استراتيجي يهدف إلى توسيع جاذبية المنظمة لتشمل غير الصهاينة بشكل صريح، وتأكيد طابعها "الأمريكي".

إن هذه النشأة لا تكشف فقط عن تاريخ المنظمة، بل عن حمضها النووي. لقد ولدت AIPAC كآلية تكيفية مصممة للبقاء والازدهار ضمن القيود الصارمة للبيئة السياسية الأمريكية. لم تكن نتاج قوة غاشمة، بل نتاج فهم عميق للقانون والسياسة. هذه الطبيعة التكيفية، التي ولدت من رحم الضعف، هي التي شكلت استراتيجيتها لعقود قادمة: بناء قوة هائلة في الخفاء لتجنب أي مواجهة علنية قد تعيد إلى الأذهان التهديدات الوجودية التي صاحبت ولادتها. من منظور نظرية الأنماط الديناميكية، كانت هذه لحظة "تنظيم ذاتي" كلاسيكية، حيث أدت القيود البيئية الشديدة إلى ظهور نمط تنظيمي جديد وأكثر مرونة وقدرة على البقاء.

2 المبحث الثاني: تشريح القوة - مكونات الآلة

لفهم سر نجاح AIPAC، يجب تفكيكها إلى مكوناتها الأساسية. لا تستمد الآلة قوتها من مصدر واحد، بل من أربعة مصادر رئيسية تعمل كنظام متكامل ومترابط يعزز كل منها الآخر: القوة السياسية، والقوة المالية، والقوة التنظيمية، وقوة السردية. هذا التشريح يكشف عن بنية ذاتية التعزيز تشكل "حالة جذب" مستقرة من النفوذ.

القوة السياسية - إتقان "لعبة واشنطن"

يكمن جوهر عمل AIPAC في إتقانها الفائق لآليات التأثير داخل الكونغرس الأمريكي. وتتجلى هذه القوة في ثلاثة جوانب رئيسية:

- **الضغط المباشر وتوفير المعلومات:** الوظيفة الأساسية لـ AIPAC هي الضغط المباشر على أعضاء الكونغرس والإدارة الأمريكية. لكن فعاليتها لا تأتي من

مجرد الطلبات، بل من قدرتها على أن تصبح مصدراً لا غنى عنه للمعلومات. في عالم واشنطن المزدحم، حيث يواجه المشرعون وموظفوهم ضغطاً هائلاً في الوقت، تقدم AIPAC تقارير موجزة، وملخصات للقوانين، وأوراق موقف (Issue Briefs) مكتوبة بخبرة، ومصممة لتوفير معلومات دقيقة وموجهة. هذا يجعلها شريكاً قيماً للمكاتب التشريعية، التي تعتمد عليها لفهم القضايا المعقدة المتعلقة بالشرق الأوسط.

- **المساعدة في صياغة التشريعات:** تتجاوز AIPAC دور المعلق على السياسات لتصبح شريكاً في صياغتها. غالباً ما يشارك موظفوها في كتابة مسودات القوانين والتشريعات التي تخدم أهدافها. على سبيل المثال، تشريعات مثل "قانون الشراكة الدفاعية بين الولايات المتحدة وإسرائيل لعام 2025" (The United States-Israel Defense Partnership Act of 2025) تعكس بشكل مباشر أولويات AIPAC السياسية، التي يتم الترويج لها من خلال ملخصات القوانين التي توزعها على المشرعين. هذه القدرة على ترجمة الأهداف السياسية إلى نصوص تشريعية ملموسة هي علامة على نفوذها العميق.

- **استراتيجية الحزبين كـ "حالة جذب":** كانت استراتيجية AIPAC التاريخية هي حجر الزاوية في قوتها السياسية. من خلال العمل بصرامة على أساس مبدأ "دعم الأصدقاء ومعاقبة الأعداء" بغض النظر عن انتمائهم الحزبي، نجحت AIPAC في بناء دعم واسع في كلا الحزبين الديمقراطي والجمهوري. هذه الاستراتيجية خلقت ما يمكن وصفه بـ "حالة جذب" (Attractor State) سياسية. لقد أصبح الموقف الأكثر استقراراً والأقل خطورة لأي سياسي طموح هو تبني موقف "مؤيد لإسرائيل" بشكل لا لبس فيه، كما تحدده AIPAC. أي انحراف عن هذا الإجماع كان يعرض السياسي لخطر فقدان الدعم المالي والسياسي، مما يخلق حالة من عدم الاستقرار في مسيرته المهنية. وقد ضمن هذا الإجماع الحزبي استمرارية الدعم الأمريكي لإسرائيل عبر الإدارات ومجالس الكونجرس المتغيرة، كما يتضح من الدعم الساحق لحزم المساعدات والقرارات التي تدعمها AIPAC.

إن ظاهرة النفوذ شبه المطلق هذه على الكونغرس هي الأطروحة المركزية للدراسة التأسيسية التي أجراها جون ميرشايمر وستيفن والت عام 2007، "اللوبي الإسرائيلي والسياسة الخارجية الأمريكية" (The Israel Lobby and U.S. Foreign Policy). يصف الكاتبان اللوبي بأنه "تحالف واسع" تقع AIPAC في نواته الصلبة، ويتميز "بفعاليته غير العادية".

يجادل ميرشايمر ووالت بأن AIPAC، على وجه الخصوص، لديها "سلطة تامة على الكونغرس" بسبب قدرتها الدقيقة على "مكافأة المشرعين وأعضاء الكونغرس المرشحين الذين يدعمون أجندتها ومعاقبة أولئك الذين يتحدونها". وبالتالي، فإن "حالة الجذب" التي وصفناها ليست مجرد نموذج نظري، بل هي واقع سياسي موثق حدد قوة "الآلة" لعقود."

القوة المالية - وقود الآلة

كثيراً ما يُساء فهم القوة المالية لـ AIPAC. إنها لا تكمن في ميزانيتها الخاصة، بل في قدرتها على توجيه شبكة مالية أوسع بكثير.

- **توضيح المفهوم الخاطئ (وضع 501c4):** من الضروري التأكيد على أن AI-PAC، بصفتها منظمة "رفاه اجتماعي" مسجلة تحت البند 501(4)(c) من قانون الضرائب الأمريكي، لم تكن تتبرع بالأموال مباشرة للمرشحين السياسيين حتى عام 2021. هذا الوضع القانوني يسمح لها بالقيام بأنشطة ضغط غير محدودة، على عكس المنظمات الخيرية (501c3) التي تخضع لقيود صارمة على النشاط السياسي. وبالتالي، فإن النظر إلى ميزانية AIPAC التشغيلية وحدها يعطي صورة مضللة عن نفوذها المالي.
- **الآلية الحقيقية: شبكة المانحين ولجان العمل السياسي (PACs):** تكمن القوة المالية الحقيقية لـ AIPAC في دورها كـ "مُوَجِّه" أو "غرفة مقاصة" سياسية. لقد بنت على مر العقود شبكة هائلة من المانحين الأثرياء ولجان العمل السياسي (PACs) المستقلة المؤيدة لإسرائيل في جميع أنحاء البلاد. كانت AI-PAC ترسل إشارات واضحة لهذه الشبكة حول المرشحين الذين يستحقون الدعم (الأصدقاء) وأولئك الذين يجب معاقبتهم (الأعداء). من خلال

تنظيم فعاليات لجمع التبرعات وربط المانحين بالسياسيين، تمكنت AIPAC من توجيه ملايين الدولارات إلى الحملات الانتخابية، مما منحها نفوذاً مالياً يتجاوز بكثير أي أرقام رسمية معلنة. هذا النموذج سمح لها بالحفاظ على واجهة "عدم المشاركة المباشرة في تمويل الحملات" مع ممارسة نفوذ انتخابي هائل في الواقع.

الفترة الزمنية	الأداة المالية الأساسية	حجم الإنفاق التقريبي	أمثلة على الأهداف الرئيسية
ما قبل دورة 2022	الإنفاق على الضغط وتوجيه شبكات المانحين	ميزانية ضغط سنوية (3.5 مليون دولار في 2018) + توجيه ملايين غير محددة من المانحين	الحفاظ على الإجماع العام المؤيد لإسرائيل في كلا الحزبين
دورة 2022	AIPAC PAC (تبرعات مباشرة) و UDP Super PAC (إنفاق مستقل)	أكثر من 17.5 مليون دولار من AIPAC PAC ، وحوالي 26.1 مليون دولار إنفاق مستقل من UDP	دعم هيلي ستيفنز وجلين آيفي ؛ هزيمة آندي ليفين ودونا إدواردز
دورة 2024	تكثيف استخدام AIPAC PAC و UDP Super PAC	توقعات بإنفاق 100 مليون دولار ؛ UDP أنفقت 56 مليون دولار حتى أغسطس 2024	دعم جورج لاتيمر وويسلي بيل ؛ هزيمة جمال بومان وكوري بوش

القوة التنظيمية - "العصبية" على المستوى الشعبي

إذا كانت الأموال هي وقود الآلة، فإن قاعدتها الشعبية هي محركها. تستمد AIPAC قوة هائلة من قدرتها على التعبئة على المستوى الشعبي.

- **التعبئة الشعبية وشبكة "جهات الاتصال الرئيسية":** تفتخر AIPAC بقاعدة عضوية واسعة ونشطة تدعي أنها تتجاوز 5 ملايين عضو ، موزعين في كل ولاية ومنطقة انتخابية. العمود الفقري لهذه الشبكة هو نظام "جهات الاتصال الرئيسية" (key contacts)، حيث يتم تكليف أعضاء متفانين في كل منطقة ببناء علاقات شخصية طويلة الأمد مع أعضاء الكونغرس المحليين وموظفيهم. عندما تحتاج AIPAC إلى ممارسة ضغط على قضية معينة، يمكنها تفعيل هذه الشبكة بسرعة، مما يضمن أن يسمع المشرعون نفس الرسالة من ناخبيهم المؤثرين في دوائرهم الانتخابية، وليس فقط من جماعات الضغط في واشنطن.

- **المؤتمر السنوي كاستعراض للقوة:** مؤتمر AIPAC السنوي ليس مجرد حدث، بل هو طقس سياسي هائل يهدف إلى تجديد "العصبية" وتوحيد الصفوف. يجمع المؤتمر أكثر من 18,000 ناشط، ويستقطب كبار السياسيين من كلا الحزبين، بما في ذلك المرشحون للرئاسة ورؤساء الكونغرس. يعمل **المؤتمر كمنصة لتحقيق عدة أهداف:**

1. **استعراض القوة:** إظهار النفوذ الهائل للمنظمة أمام وسائل الإعلام والطبقة السياسية.
2. **توحيد الخطاب:** التأكد من أن جميع الأعضاء والناشطين يتلقون نفس الرسائل ونفس نقاط الحوار لاستخدامها خلال العام.
3. **التعبئة للضغط:** يتوج المؤتمر بيوم ضغط على الكابيتول هيل، حيث يلتقي الآلاف من الحضور بأعضاء الكونغرس ومكاتبهم البالغ عددها 535 مكتباً لتوصيل رسالة موحدة.

- **بناء المستقبل: AIPAC في الحرم الجامعي:** تدرك AIPAC أن استمرارية نفوذها تعتمد على بناء الجيل القادم. لذلك، تستثمر بكثافة في برامج "AIPAC on Campus" (إيباك في الحرم الجامعي) وبرامج القيادة لطلاب المدارس الثانوية مثل "مبادرة القيادة الأسرية" (Family Leadership Initiative). تهدف هذه البرامج إلى تحديد وتدريب وتأهيل القادة الطلابيين ليصبحوا مدافعين فعالين عن إسرائيل في بيئات جامعية غالباً ما تكون معادية، ولضمان وجود خط إمداد مستمر من "مهندسي الحصن" المستقبليين المستعدين لتولي أدوار قيادية في المنظمة والمجتمع.

قوة السردية - "هندسة الإقناع"

إن المكون الرابع، والذي يربط كل المكونات الأخرى معاً، هو قدرة AIPAC على صياغة ونشر وترسيخ سرديات قوية ومقنعة تبرر أهدافها السياسية. تعمل AIPAC كمحرك رئيسي يحول هذه السرديات إلى سياسات ملموسة من خلال آلتها السياسية والمالية والتنظيمية. **السرديات الأربع الأساسية التي تسوقها هي:**

1. **إسرائيل كأصل استراتيجي:** تصوير إسرائيل على أنها حليف لا غنى عنه للولايات المتحدة، و"مرساة استقرار" في منطقة مضطربة، وشريك حيوي في مجالات الاستخبارات ومكافحة الإرهاب والتكنولوجيا العسكرية المتقدمة التي تعود بالنفع على أمريكا.
2. **القيم المشتركة:** التأكيد على أن إسرائيل هي "الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط"، وأنها تشارك الولايات المتحدة قيم الحرية والتعددية وحكم القانون.
3. **المسؤولية الأخلاقية:** استحضار السياقات التاريخية، مثل المحرقة، لتأطير الدعم لإسرائيل كواجب أخلاقي لحماية الشعب اليهودي وضمان أمن وطنه.
4. **التهديد الوجودي:** التركيز المستمر على التهديدات التي تواجه إسرائيل، وخاصة من إيران ووكلائها، لتبرير الحاجة الماسة للدعم العسكري والمساعدات الأمريكية غير المشروطة.

إن هذه المكونات الأربعة لا تعمل بمعزل عن بعضها البعض. بل تشكل حلقة تغذية راجعة ذاتية التعزيز. **السردية** القوية تجذب **التنظيم** الشعبي وتبرر الحاجة إلى **التمويل** الضخم. **التمويل** يترجم إلى **نفوذ سياسي** ملموس. **النفوذ السياسي** يحقق انتصارات تشريعية (مثل حزم المساعدات) التي بدورها تعزز **التنظيم** (حيث يرى الأعضاء نتائج عملهم) وتثبت صحة **السردية** (بأن الدعم ضروري وفعال). هذه الدائرة المغلقة هي التي خلقت "حالة الجذب" المستقرة التي هيمنت على السياسة الأمريكية لعقود، وهي جوهر "الآلة" التي صممتها AIPAC.

3 المبحث الثالث: التحديات والمستقبل - الآلة في مواجهة الطوفان

بعد عقود من الهيمنة النسبية، تواجه آلة AIPAC، التي صُممت لعالم القرن العشرين الهرمي والمركزي، مجموعة من التحديات غير المسبوقة في بيئة القرن الحادي والعشرين الشبكية والمستقطبة. يحلل هذا المبحث كيف كشفت معارك كبرى عن حدود قوتها، وكيف أن التحديات الداخلية والخارجية الجديدة أجبرتها على إجراء تحول استراتيجي جذري في محاولة للتكيف والبقاء.

معارك كبرى - دراسات حالة لنجاحات وإخفاقات

إن اختبار أي نظام سياسي يكمن في قدرته على مواجهة التحديات الكبرى. معركتان رئيسيتان في تاريخ AIPAC تقدمان رؤى متباينة حول قوة وحدود الآلة.

- **دراسة حالة نجاح: معركة ضمانات القروض (1991)** في عام 1991، طلب رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك، إسحاق شامير، ضمانات قروض أمريكية بقيمة 10 مليارات دولار للمساعدة في استيعاب المهاجرين اليهود من الاتحاد السوفيتي المنهار. لكن الرئيس جورج بوش الأب، الذي كان يتمتع بشعبية جارفة بعد حرب الخليج (بنسبة تأييد بلغت 70%)، قرر استخدام هذه الضمانات كورقة ضغط على إسرائيل لوقف بناء المستوطنات وحضور مؤتمر مدريد للسلام. أعلن بوش أنه سيستخدم حق الفيتو ضد أي محاولة من الكونغرس لتمرير الضمانات، وشن هجوماً علنياً على اللوبي، واصفاً نفسه بأنه "رجل وحيد صغير هنا" يواجه "ألف من أعضاء جماعات الضغط" على الكابيتول هيل.

أطلقت AIPAC حملة ضغط شاملة، وحشدت مؤيديها في جميع أنحاء البلاد. على الرغم من أن بوش نجح في تأجيل النظر في الضمانات لمدة 120 يوماً، إلا أن المواجهة أظهرت قوة AIPAC الهائلة وقدرتها على تحدي رئيس يتمتع بشعبية كبيرة. الأهم من ذلك، أن هذه المعركة تركت أثراً عميقاً في الذاكرة السياسية لواشنطن. لقد كلفت المواجهة بوش ثمناً سياسياً باهظاً، حيث انخفض دعمه بشكل حاد في أوساط الجالية اليهودية. من منظور نظرية التوازن المتقطع، كانت هذه محاولة "لتقطيع" التوازن القائم، لكن النظام أثبت مرونته. لقد نجحت AIPAC في الدفاع عن "احتكارها للسياسة" وأرسلت رسالة واضحة للسياسيين المستقبليين: المواجهة المباشرة مع AIPAC لها تكلفة سياسية باهظة. وقد تم تمرير ضمانات القروض في النهاية بعد تغيير الحكومة في إسرائيل.

- **دراسة حالة تحدي: معركة الاتفاق النووي الإيراني (2015)** مثلت معركة عام 2015 ضد الاتفاق النووي الإيراني (JCPOA) الذي أبرمته إدارة الرئيس باراك أوباما اختباراً مختلفاً تماماً. اعتبرت AIPAC، بالاتفاق مع حكومة بنيامين نتنياهو، الاتفاق تهديداً وجودياً لإسرائيل، وأطلقت أضخم وأغلى حملة في

تاريخها لإفشاله في الكونغرس. أنفقت المنظمة، عبر ذراعها "مواطنون من أجل إيران خالية من السلاح النووي"، ما بين 20 إلى 40 مليون دولار على إعلانات تلفزيونية وحملات ضغط مكثفة.

على عكس معركة 1991، هذه المرة خسرت AIPAC. نجحت إدارة أوباما في حشد دعم كافٍ في مجلس الشيوخ لضمان استمرار الاتفاق ومنع تجاوز أي فيتو رئاسي. كشفت هذه الهزيمة عن حدود قوة AIPAC في مواجهة رئيس مصمم وإرادة سياسية مضادة قوية. لقد كانت هذه لحظة "تقطيع" حقيقية للتوازن. لقد أظهرت أن "احتكار السياسة" لم يعد مطلقاً، وأن الانقسام الحزبي المتزايد يمكن أن يكسر الإجماع الذي عملت AIPAC بجد للحفاظ عليه، حيث انحازت الغالبية العظمى من الجمهوريين ضد الاتفاق، بينما أيده معظم الديمقراطيين، مما أضر بصورة AIPAC كمنظمة فوق حزبية.

التحديات الجديدة - التصدع الداخلي والطوفان الرقمي

إن الهزيمة في معركة الاتفاق النووي لم تكن حدثاً معزولاً، بل كانت مؤشراً على تحديات أعمق وأكثر هيكلية بدأت في إعادة تشكيل البيئة التي تعمل فيها AIPAC. هذه التحديات يمكن اعتبارها "معلمات تحكم" جديدة تدفع النظام نحو نقطة **اللااستقرار.**

- **التحدي الداخلي: كسر الاحتكار وظهور "معسكر العدالة"** لعقود طويلة، نجحت AIPAC في تقديم نفسها على أنها "الصوت" الممثل للجالية المؤيدة لإسرائيل في واشنطن. لكن تأسيس منظمة "جي ستريت" (J Street) في عام 2008 كسر هذا الاحتكار. قدمت "جي ستريت" نفسها كبديل ليبرالي، "مؤيد لإسرائيل ومؤيد للسلام"، يدعم حل الدولتين وينتقد سياسات الاستيطان، وقد تزامن ظهورها مع صعود باراك أوباما. لأول مرة، أصبح لدى السياسيين الديمقراطيين والناخبين اليهود الليبراليين منظمة أخرى يمكنهم الانتماء إليها ودعمها، منظمة تتحدث لغة تتوافق أكثر مع قيمهم التقدمية. هذا التصدع الداخلي، إلى جانب صعود جيل جديد من السياسيين التقدميين في الحزب الديمقراطي (مثل أعضاء ما يسمى بـ "الفرقة" أو The Squad) الذين ينتقدون السياسة الإسرائيلية علناً، أدى إلى تآكل الإجماع الحزبي الذي كان أساس قوة AIPAC.

- **التحدي الخارجي: الطوفان الرقمي وفقدان السيطرة على السردية** في عالم ما قبل الإنترنت، كانت AIPAC تسيطر بشكل كبير على تدفق المعلومات إلى صانعي السياسات ووسائل الإعلام التقليدية. لكن "الطوفان الرقمي" ووسائل التواصل الاجتماعي قد غيرا قواعد اللعبة بشكل جذري. لقد أدت منصات مثل X (تويتر سابقاً) وفيسبوك وتيك توك إلى دمقرطة نشر المعلومات (وتضليلها)، مما سمح للروايات الفلسطينية والصور ومقاطع الفيديو من الميدان بالوصول مباشرة إلى الجماهير العالمية، متجاوزة حراس البوابة التقليديين. أدى هذا إلى تآكل قدرة AIPAC على التحكم في "صورة السياسة" (policy image)، وهو أمر حيوي للحفاظ على "احتكار السياسة" وفقاً لنظرية التوازن المتقطع. لقد أصبح من الصعب الحفاظ على سردية "القيم المشتركة" و"الأصل الاستراتيجي" عندما تتعارض مع صور ومشاهد تبث على مدار الساعة من الأراضي المحتلة.
- **"الصدع داخل الحصن" (اليمين القومي):** لعل التحدي الأكثر خطورة، والذي تبلور في المشهد السياسي 2024-2025، هو حدوث تصدع داخل "معسكر الولاء القومي" نفسه. هذا التحدي لا يأتي من اليسار التقدمي ("معسكر العدالة")، بل من اليمين القومي ("أمريكا أولاً") الذي تمثله شخصيات مؤثرة مثل تاكر كارلسون وستيف بانون.

هذا "اليمين الجديد" (أو اليمين النيورجعي) ينفصل بشكل أساسي عن جناح "المحافظين الجدد" (Neoconservative) الذي كان حليفاً تاريخياً لـ AIPAC. ينبع الصراع من تناقض أيديولوجي جوهري:

1. **سردية اللوبي التقليدية (المحافظون الجدد):** تقدم إسرائيل كـ "أصل استراتيجي" حيوي للولايات المتحدة (كما ذكرنا في المبحث الثاني).
2. **سردية "أمريكا أولاً" (القوميون الجدد):** تنظر إلى "اللوبي" ككيان "عولمي" يورط أمريكا في صراعات خارجية تستنزفها، مما يتعارض بشكل مباشر مع عقيدتهم الانعزالية.

هذا الصراع (يمين ضد يمين) يمثل خطراً وجودياً على استراتيجية AIPAC ثنائية الحزب. إنه يثبت أن "الحصن" لم يعد موحداً، وأن "الآلة" أصبحت الآن تُهاجَم من قبل حلفاء الأمس الذين يتهمونها بتقديم المصالح الإسرائيلية على المصالح الأمريكية."

- **التكيف: التحول نحو السياسة الحزبية المباشرة** في مواجهة هذه التحديات الوجودية - تآكل الإجماع الداخلي وفقدان السيطرة على السردية الخارجية - قامت AIPAC بأخطر تحول استراتيجي في تاريخها. في ديسمبر 2021، تخلت عن سياستها التي استمرت 60 عاماً بعدم الانخراط المباشر في تمويل الحملات الانتخابية، وأنشأت لجنة عمل سياسي خاصة بها (AIPAC PAC) ولجنة عمل سياسي خارقة (Super PAC) باسم "مشروع الديمقراطية المتحدة" (United Democracy Project - UDP).

هذا التحول لم يكن علامة قوة، بل كان رد فعل دفاعياً. إنه اعتراف ضمني بأن نموذج التأثير الهادئ والحفاظ على الإجماع لم يعد كافياً. إذا لم يعد بالإمكان ضمان الولاء من خلال الإقناع، فيجب ضمانه من خلال القوة المالية الغاشمة. الاستراتيجية الجديدة هي استخدام مبالغ هائلة من المال (تصل إلى 100 مليون دولار في دورة 2024) لمعاقبة وهزيمة المرشحين التقدميين الذين يمثلون تهديداً للإجماع القديم، خاصة في الانتخابات التمهيدية للحزب الديمقراطي. من منظور نظري، يمثل هذا "تحولاً طورياً" (Phase Transition). لقد انتقلت الآلة من حالة تهدف إلى الحفاظ على "توازن" مستقر إلى حالة تهدف إلى فرض الاستقرار بالقوة، من خلال القضاء على العناصر المزعزعة للاستقرار في النظام. لكن هذا التكيف يأتي بتكلفة باهظة، حيث أدى إلى اتهامات بأن AIPAC تخلت عن مبدأ الحزبين من خلال دعمها لأكثر من 100 جمهوري ممن صوتوا لقلب نتائج انتخابات 2020، مما أدى إلى مزيد من الاغتراب في صفوف الديمقراطيين.

الخاتمة: مستقبل الآلة

لقد أظهر هذا التشريح أن لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية (AIPAC) هي أكثر بكثير من مجرد جماعة ضغط. إنها "آلة" معقدة، ونظام تكيفي تطور على مدى سبعة عقود ليصبح واحداً من أكثر الفاعلين نفوذاً في السياسة الخارجية الأمريكية.

تلخيص "وصفة نجاح AIPAC "

يمكن تلخيص "وصفة نجاح AIPAC " في قدرتها على بناء وصيانة نظام ذاتي التعزيز، قائم على أربعة أعمدة مترابطة. لقد ولدت كاستجابة دفاعية "منظمة ذاتياً" للضغوط القانونية والدبلوماسية، مما منحها حمضاً نووياً قائماً على فهم عميق

لآليات القوة في واشنطن. ثم قامت ببناء قوة **سياسية** من خلال إتقان "لعبة واشنطن" وخلق "حالة جذب" من الإجماع الحزبي. وقامت بتغذية هذه القوة **بوقود مالي** هائل، ليس من خلال ميزانيتها الخاصة، بل عبر توجيه شبكة واسعة من المانحين. ودعمت كل ذلك **بتنظيم شعبي** واسع ومنضبط، قادر على التعبئة والضغط من القاعدة إلى القمة. وأخيراً، غلفت كل هذا **بسردية** قوية ومقنعة حول القيم المشتركة والمصالح الاستراتيجية. هذه الأعمدة لم تكن منفصلة، بل شكلت حلقة تغذية راجعة جعلت النظام قوياً ومرناً ومستقراً لعقود.

السؤال المركزي: هل يمكن للآلة أن تتكيف؟

إن السؤال الجوهري الذي يواجه المنظمة اليوم هو ما إذا كانت هذه "الآلة"، التي تم تصميمها وهندستها لعالم القرن العشرين الهرمي والمركزي، حيث كان التحكم في المعلومات وتدفق الأموال أكثر سهولة، قادرة على التكيف والازدهار في عالم القرن الحادي والعشرين الشبكي، اللامركزي، والمستقطب بشدة.

لقد انهارت الحواجز التي كانت تحمي "احتكار السياسة" الذي بنته AIPAC. فالتصدع الداخلي في الجالية اليهودية، وصعود جيل جديد من السياسيين التقدميين، والطوفان الرقمي الذي كسر احتكار السردية، كلها عوامل "زعزعة استقرار" دفعت النظام إلى حافة الفوضى.

كان رد فعل AIPAC، المتمثل في التحول إلى لاعب انتخابي مباشر وعنيف من خلال لجان العمل السياسي الخاصة بها، هو محاولتها للتكيف. إنه "تحول طوري" من استراتيجية الحفاظ على التوازن بالإقناع إلى فرض التوازن بالقوة. قد تنجح هذه الاستراتيجية على المدى القصير في القضاء على بعض الأصوات المعارضة وتخويف الآخرين. لكنها تحمل في طياتها مخاطر هائلة على المدى الطويل. فمن خلال التخلي عن صورتها كمنظمة فوق حزبية، والمجازفة بالتحالف مع قوى يعتبرها الكثير من الديمقراطيين معادية للديمقراطية نفسها، فإنها تخاطر بتسريع عملية تحول الدعم لإسرائيل إلى قضية حزبية بحتة، وهو بالضبط الكابوس الذي صُممت "الآلة" الأصلية لتجنبه.

إن مستقبل الآلة ليس مضموناً. فقدرتها على البقاء لن تعتمد فقط على حجم الأموال التي يمكنها إنفاقها، بل على قدرتها على التكيف مع بيئة لم تعد تعترف بالنماذج القديمة للسلطة والسيطرة. إن المعركة التي تخوضها AIPAC اليوم ليست فقط مع خصومها السياسيين، بل مع طبيعة العصر نفسه.

10 الفصل العاشر: قلاع الاقتصاد - وول ستريت ووادي السيليكون في قلب الصراع

مقدمة الفصل:

إن "حرب المواقع" الثقافية لا تُخاض فقط في الكونغرس أو استوديوهات السينما، بل تُحسم إلى حد كبير في غرف مجالس الإدارة وصناديق الاستثمار. وول ستريت، قلعة رأس المال التقليدي، ووادي السيليكون، قلعة رأس المال التكنولوجي، ليستا مجرد مصادر تمويل، بل هما نظامان بيئيان لهما ثقافتهما وقيمهما التي تتقاطع بشكل معقد مع الصراع الدائر. يهدف هذا الفصل إلى تشريح موقع ودور هاتين القوتين الاقتصاديتين في المعركة على هوية المجتمع اليهودي الأمريكي.

1 المبحث الأول: وول ستريت - المحرك المالي لـ "للقلعة التقليدية"

تقف وول ستريت، بمعناها الواسع الذي يشمل بنوك الاستثمار وصناديق التحوط والأسهم الخاصة، بشكل شبه كامل ضمن "**معسكر الولاء القومي**". إنها تمثل "**المهندس المالي**" الذي يوفر الوقود لآلة القلعة بأكملها.

- **التوافق في المنطق (Logic Alignment):** هناك توافق بنيوي بين منطق وول ستريت ومنطق "أخلاقية البقاء". كلاهما يقوم على **الواقعية السياسية (Realpolitik)، والقوة، والاستقرار، وحماية الأصول القائمة.** وول ستريت لا تستثمر في "الأحلام" الأخلاقية، بل في "الواقع" الاستراتيجي. ومن هذا المنظور، فإن إسرائيل القوية عسكرياً والمستقرة سياسياً هي "أصل استراتيجي" (Strategic Asset) يجب دعمه، تماماً كما يتم دعم أي استثمار آمن ومربح.
- **الدور كـ "مصدر طاقة":** تعمل وول ستريت كمصدر **الطاقة (Energy)** المالي الرئيسي للمعسكر. المانحون الكبار الذين يمولون AIPAC ومراكز الأبحاث المحافظة يأتون إلى حد كبير من هذا العالم. هذا التمويل ليس مجرد دعم، بل هو أداة لتوجيه الأجندات.
- **الدور كـ "أداة ضبط":** تلعب وول ستريت دوراً حاسماً في فرض "الهدنة الكبرى" عبر آليات "**التصفية المدنية**". إنها شبكة مغلقة وقوية. أي شخص يتبنى

مواقف جذرية معارضة يمكن أن يجد نفسه معزولاً مهنياً، حيث تُغلق أمامه أبواب الصفقات وفرص العمل. إنها بيئة لا تتسامح مع المخاطرة، والنقد الحاد لإسرائيل يُعتبر مخاطرة بسمعة الشخص وعلاقاته.

2 المبحث الثاني: وادي السيليكون - ساحة الصراع بين ثقافة "التغيير" وقوة "رأس المال"

وادي السيليكون قصة أكثر تعقيداً. إنه ليس في معسكر واحد، بل هو ساحة الصراع نفسها، حيث يتصادم "روح" الوادي مع "عقله" المالي.

1. **"روح" وادي السيليكون (معسكر العدالة):** ثقافة وادي السيليكون، في جوهرها، هي ثقافة **"التغيير الجذري" (Disruption)**. هي قائمة على تحدي النماذج القديمة، وكسر التسلسل الهرمي، والإيمان بقيم عالية تتجاوز الحدود القومية (مثل "ربط العالم"). هذه الروح تتناغم بشكل طبيعي مع **"معسكر العدالة الكونية"**. لهذا السبب، نجد أن **القاعدة العريضة من الموظفين** - المهندسون، والمصممون، والمبرمجون - تميل بشدة نحو المواقف التقدمية والنقدية. المظاهرات والعرائض المفتوحة التي تخرج من داخل شركات مثل جوجل وآبل ضد العقود العسكرية مع إسرائيل هي التجسيد الأوضح لهذه الروح.

2. **"عقل" وادي السيليكون (معسكر الولاء):** على النقيض تماماً، فإن **"العقل المالي"** للوادي - المتمثل في كبار المستثمرين (Venture Capitalists) والمديرين التنفيذيين ومؤسسي الشركات الكبرى - يرتبط بعلاقات وثيقة وقوية مع "البناء التقليدي".

- **الترابط الاقتصادي:** هناك تداخل هائل بين قطاع التكنولوجيا الأمريكي و"أمة الشركات الناشئة" (Start-Up Nation) في إسرائيل. الاستثمارات وعمليات الاستحواذ والتعاون في مجالات مثل الأمن السيبراني والذكاء الاصطناعي تخلق تحالفاً اقتصادياً قوياً يجعل من الصعب على القادة تبني مواقف نقدية.
- **الشبكات الشخصية:** الكثير من قادة وادي السيليكون هم جزء من نفس الشبكات الاجتماعية والخيرية التي تدعم المؤسسات التقليدية.

الخاتمة:

إن تحليل الاقتصاد يكشف عن أن الصراع ليس مجرد حرب ثقافية، بل هو أيضاً صراع طبقي داخل النخبة نفسها. **وول ستريت تمثل "المال القديم"** والمؤسسي الذي يدعم النظام القائم. أما **وادي السيليكون فيمثل صراع "المال الجديد"**، حيث تتصارع ثقافة القوة العاملة التقدمية والمثالية مع مصالح رأس المال الاستراتيجي. إن نتيجة المعركة داخل وادي السيليكون تحديداً قد تكون هي المؤشر الأهم على مستقبل وهوية النخبة الأمريكية في القرن الحادي والعشرين.

11 الفصل الحادي عشر: ساحة العقل - حرب المواقع في الأوساط الأكاديمية

مقدمة الفصل:

بعيداً عن الأضواء والأسواق المالية، تُخاض المعركة الأعمق على روح وهوية المستقبل داخل أسوار الجامعات ومراكز الأبحاث. هذه ليست "أبراجاً عاجية" منعزلة، بل هي **المصانع التي تنتج الأفكار، وتمنح الشرعية للسرديات، وتشكل عقول الجيل القادم من القادة.** إنها ساحة "حرب مواقع" غرامشية بامتياز، حيث لا يهدف الصراع إلى كسب نقاش فحسب، بل إلى السيطرة على المناهج والمفاهيم التي ستُستخدم لفهم العالم. يهدف هذا الفصل إلى تشريح هذا الصراع المعقد داخل الأوساط الأكاديمية.

1 المبحث الأول: العلوم الإنسانية والاجتماعية - الحاضنة الفكرية لـ "معسكر العدالة"

إن أقسام العلوم الإنسانية والاجتماعية في الجامعات الأمريكية المرموقة (مثل دراسات الشرق الأوسط، الأنثروبولوجيا، علم الاجتماع، الدراسات ما بعد الكولونيالية) هي **الموطن الطبيعي والحاضنة الفكرية لـ "معسكر العدالة الكونية".** **ويعود ذلك لأسباب بنيوية:**

- **المنهج النقدي:** تقوم هذه التخصصات بطبيعتها على **تفكيك هياكل القوة، ونقد الخطابات السائدة، وتحليل علاقات الهيمنة والاستعمار.** عندما يتم تطبيق هذه الأدوات التحليلية على الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، فإنها تنتج بشكل شبه حتمي سردية تتوافق مع "معسكر العدالة".
- **التأثير الفكري:** لقد وفر مفكرون أكاديميون كبار (مثل إدوارد سعيد [1] ومن بعده جوديث بتلر [2] وناعوم تشومسكي [3]) الإطار النظري الذي يستخدمه

(1) **إدوارد سعيد** (Edward Said): مفكر وأكاديمي فلسطيني-أمريكي (1935-2003)، يُعد مؤسس "الدراسات "الاستشراق" (1978) فكك آليات القوة الاستعمارية، وهو ما يغذي فهم الصراع كـ "قضية استعمار وفصل عنصري".

(2) سبق التعريف بها

(3) **ناعوم** تشومسكي (Noam Chomsky): لغوي أمريكي شهير (يُعرف بـ "أبو اللسانيات الحديثة") ومفكر وناشط سياسي بارز. يهو أحد المفكرين ذوي الوزن الفكري الكبير و"مكبرات الصوت" الرئيسية لـ "معسكر العدالة الكونية". يُنسب إليه، إلى جانب سعيد وبتلر، توفير "الإطار النظري" الأكاديمي الذي ساعد في فهم الصراع كـ "قضية استعمار وفصل عنصري".

الطلاب والأساتذة لفهم الصراع كقضية استعمار وفصل عنصري، وليس كصراع ديني أو قومي متكافئ.

- **الحراك الطلابي:** تنشأ من رحم هذه الأقسام الحركات الطلابية الناشطة مثل "طلاب من أجل العدالة في فلسطين" (SJP)، والتي تقود حملات المقاطعة (BDS) والاحتجاجات داخل الحرم الجامعي، محولة الأفكار النظرية إلى عمل سياسي مباشر.

2 المبحث الثاني: الإدارة والمانحون - قوة "الحصن التقليدي" داخل الجامعة

في مواجهة هذا التيار الفكري القوي، يمتلك "معسكر الولاء القومي" نفوذاً هائلاً داخل الجامعات، لا يأتي من داخل قاعات الدرس، بل من **"أعلى" (الإدارة) و"الخارج" (المانحون).**

- **ضغط المانحين:** هذه هي الأداة الأقوى. يستخدم المانحون الكبار (الذين يأتي الكثير منهم من وول ستريت) نفوذهم المالي للضغط على إدارات الجامعات. هذا الضغط يتخذ أشكالاً متعددة: التهديد بوقف التبرعات، المطالبة بفصل أساتذة "معاديين لإسرائيل"، وتمويل حملات لتشويه سمعة الأقسام الأكاديمية النقدية.

لقد تصاعد هذا الضغط بشكل غير مسبوق خلال الفترة 2024-2025 في أعقاب الحرب على غزة والاحتجاجات الطلابية الواسعة. لم يعد الأمر مجرد تهديدات خفية، بل تحول إلى حملات منظمة وعلنية من قبل المانحين الكبار والمنظمات الموالية **لإسرائيل للتدخل المباشر في شؤون الجامعات. شمل ذلك:**

1. **استهداف القيادات الجامعية:** شهدنا استقالات وضغوطاً هائلة على رؤساء جامعات مرموقة (مثل هارفارد وبنسلفانيا) بسبب اتهامات بالتهاون مع "معاداة السامية" المزعومة في الحرم الجامعي.
2. **التدخل في التوظيف الأكاديمي:** تزايدت التقارير عن إلغاء تعيينات أو ترقيات لأكاديميين معروفين بمواقفهم النقدية تجاه إسرائيل، تحت ضغط مباشر من المانحين.

3. **تمويل "حرب المواقع المضادة":** تكثيف تمويل مراكز الفكر والمنظمات التي تهدف إلى "مكافحة معاداة السامية" في الجامعات، والتي غالباً ما تساوي بين النقد السياسي لإسرائيل والكراهية ضد اليهود، مما يضيق الخناق على حرية التعبير الأكاديمي.

- **الاستثمار المؤسسي:** يقوم "معسكر الولاء" بشن "حرب مواقع" مضادة عبر تمويل **"مراكز دراسات إسرائيل" (Israel Studies Centers)** وكراسي أستاذية متخصصة داخل الجامعات الكبرى. هدف هذه المراكز هو تقديم سردية بديلة ومواجهة ما يعتبرونه "هيمنة الفكر اليساري" في دراسات الشرق الأوسط.
- **دور الإدارة:** تجد إدارات الجامعات نفسها في وضع حرج، ممزقة بين واجبها في حماية حرية التعبير الأكاديمي، وبين خوفها من غضب المانحين والسياسيين والاتهامات بمعاداة السامية.

3 المبحث الثالث: صدام الحريات - المعركة على حرية التعبير الأكاديمي

يتبلور الصراع على الأرض في شكل معركة قانونية وأخلاقية حول تعريف "الحرية" نفسها.

- **"معسكر العدالة"** يدافع عن نضاله تحت راية **"حرية التعبير الأكاديمي"**، ويرى أن أي محاولة لقمعه هي رقابة وانتهاك لمبادئ الجامعة الأساسية.
- **"معسكر الولاء"** يرد على ذلك بتحويل النقاش من "حرية التعبير" إلى **"الحقوق المدنية"**. يجادلون بأن الخطاب النقدي الحاد لإسرائيل يخلق "بيئة معادية" للطلاب اليهود، ويعرضهم للمضايقة والتمييز، وبالتالي ينتهك حقهم في بيئة تعليمية آمنة.

أصبحت هذه "المعركة على التعريفات" هي الساحة المركزية للصراع في الجامعات خلال 2024-2025. شهدنا استخداماً مكثفاً لـ "تعريف التحالف الدولي لإحياء ذكرى الهولوكوست لمعاداة السامية" (IHRA definition)، الذي يتضمن أمثلة تساوي بين نقد إسرائيل ومعاداة السامية، كأداة قانونية وإدارية لقمع الاحتجاجات الطلابية المؤيدة للفلسطينيين. تم تصنيف شعارات سياسية تنتقد الاحتلال أو تدعو للمقاطعة

(BDS) على أنها "خطاب كراهية" أو "تحريض"، مما أدى إلى تعليق فصول طلابية، وفصل أساتذة، وتدخل الشرطة العنيف في بعض الأحيان لقمع الاعتصامات.

هذا "الاستخدام كسلاح لتهمة معاداة السامية" (Weaponization of antisemitism)، الذي وثقناه سابقاً كآلية لـ "الحصن التقليدي"، بلغ ذروته في هذه الفترة، محولاً الجامعات من ساحات للنقاش الحر إلى خطوط أمامية في "حرب ثقافية" أوسع تهدف إلى إعادة تعريف حدود الخطاب المقبول حول إسرائيل وفلسطين.

هذه المعركة على التعريفات هي جوهر الصراع القانوني في الجامعات، حيث تحاول رابطة ADL ومنظمات أخرى إقناع الإدارات بأن خطاب حركة المقاطعة ليس تعبيراً سياسياً مشروعاً، بل هو شكل من أشكال التمييز غير القانوني.

إن الجامعة ليست مجرد انعكاس للصراع، بل هي **محرك أساسي له**. إنها ساحة الصدام بين **القوة الفكرية** للعلوم الإنسانية النقدية، و**القوة المالية** للمانحين والمؤسسات التقليدية. نتيجة هذه المعركة ستكون حاسمة، لأن الأفكار والسرديات التي تنتصر اليوم في الحرم الجامعي هي التي سترسم ملامح السياسة والمجتمع في الغد.

4 المبحث الرابع: خريطة الصراع في الجامعات العريقة - دراسة حالات

إن الصراع الأكاديمي ليس مجرداً، بل يتجلى بحدة متفاوتة في الجامعات المختلفة. لا يمكن وضع الجامعات العريقة في سلة واحدة، فكل منها يمثل ساحة معركة فريدة. في هذا المبحث، سنقوم بتصنيف هذه الجامعات إلى نماذج مختلفة لفهم طبيعة الصراع داخلها.

أولاً: جامعات "رابطة اللبلاب" (Ivy League) - الصدام في القمة (هارفارد، كولومبيا، ييل)

هذه الجامعات هي مركز الزلزال. إنها تمثل ساحة الصدام الأكثر عنفاً لأنها تجمع بين أقطاب القوة المتضادة بكثافة هائلة:

- **معقل "معسكر العدالة":** تضم هذه الجامعات أقوى أقسام الدراسات الإنسانية والنقدية في العالم، والتي تشكل الحاضنة الفكرية للمعسكر. كما أن فروع منظمات مثل "طلاب من أجل العدالة في فلسطين" (SJP) و"الصوت اليهودي من أجل السلام" (JVP) فيها هي الأكبر والأكثر نشاطاً.

- **معقل "معسكر الولاء":** في نفس الوقت، فإن هذه الجامعات هي التي يتخرج منها أبناء النخبة المالية والسياسية، وتتلقى أكبر تبرعاتها من المانحين المرتبطين بوول ستريت، وتضم مجالس إدارتها شخصيات نافذة من المؤسسة التقليدية.
- **النتيجة:** صراع مباشر وعالي المستوى. ما حدث مؤخراً من استدعاء رؤساء هذه الجامعات لجلسات استماع في الكونغرس هو التجسيد المثالي لهذا الصدام: القوة الفكرية للجامعة في مواجهة القوة المالية والسياسية للمانحين واللوبيات.

ثانياً: الجامعات الحكومية الكبرى - قوة الحراك الطلابي (UC Berkeley, University of Michigan)

تتشابه هذه الجامعات مع "رابطة اللبلاب"، لكنها تتميز بوجود حراك طلابي تاريخي وأكثر جذرية.

- **قوة القاعدة:** نظراً لحجمها وتنوعها، غالباً ما تكون الحركات الطلابية فيها أكبر وأكثر تأثيراً على إدارة الجامعة. جامعة بيركلي، على سبيل المثال، لها تاريخ طويل من الاحتجاجات المناهضة للحرب والفصل العنصري، وهذا الإرث يغذي الحراك الحالي المؤيد لفلسطين.
- **نقطة ضعفها:** كونها جامعات حكومية يجعلها عرضة للضغط السياسي المباشر من المشرعين في الولاية، وهو ما يستخدمه "معسكر الولاء" كورقة ضغط.

ثالثاً: الجامعات ذات الهوية اليهودية - صراع على الروح

هذه الجامعات تمثل حالة خاصة ومهمة لأن الصراع فيها هو صراع "داخلي" على هوية المؤسسة نفسها.

- **جامعة برانداييس (Brandeis University):** يمكن اعتبارها التجسيد المؤسسي لـ "**الوسط المنهار**". تأسست على يد المجتمع اليهودي الأمريكي كمؤسسة علمانية غير طائفية، لكنها اليوم ممزقة بين إرثها الليبرالي الصهيوني التقليدي وبين جيل جديد من الطلاب والأساتذة الذين يتبنون مواقف أكثر راديكالية.

- **جامعة يشيفا (Yeshiva University):** على النقيض تماماً، تمثل هذه الجامعة **حصناً مؤسسياً منيعاً لـ "معسكر الولاء القومي"**. كونها المؤسسة الرائدة لليهودية الأرثوذكسية الحديثة، فإن توجهها الأيديولوجي والسياسي متناغم تماماً مع قيم "الحصن التقليدي"، مما يجعلها استثناءً واضحاً في المشهد الأكاديمي الليبرالي.

إن خريطة الصراع في الجامعات العريقة ترينا أن المعركة ليست مجرد أفكار، بل هي صراع على السيطرة المؤسسية. في جامعات "رابطة اللبلاب"، الصراع محتدم ومتكافئ نسبياً. وفي الجامعات الحكومية، يمتلك الحراك الطلابي قوة كبيرة. أما في الجامعات ذات الهوية اليهودية، فالمعركة هي معركة وجودية على تعريف "روح" المؤسسة.

12 الفصل الثاني العاشر: السرديات المتضادة - المعركة على "روح" الهوية

مقدمـــة:

إن الصراع الذي نشهده ليس مجرد خلاف على السياسات، بل هو صدام بين قصص متنافسة، كل منها يقدم رؤية متكاملة للماضي والحاضر والمستقبل. هذه السرديات هي جوهر المعركة على "روح وهوية" المجتمع اليهودي الأمريكي، وهي ليست مجرد آراء، بل هي عوالم أخلاقية متكاملة. يهدف هذا الفصل إلى تفكيك السرديات الثلاث الرئيسية التي تتصارع اليوم على تعريف معنى أن تكون يهودياً في القرن الحادي والعشرين.

1 المبحث الأول: سردية "البقاء و البناء المنيع" (سردية معسكر الولاء)

هذه هي السردية التأسيسية للمؤسسة التقليدية، وهي الامتداد المباشر لـ "أخلاقية البقاء" التي حللناها سابقاً.

- **نقطة البداية:** العالم مكان معادٍ لليهود بطبيعته، والدرس الأبدي من المحرقة هو "لن يتكرر هذا أبداً"، وهو ما يتطلب قوة ذاتية مطلقة.
- **البطل:** الشعب اليهودي ودولة إسرائيل القوية، التي تمثل "الرد العلاجي" على قرون من الضعف.
- **الخصم:** عالم يطبق معايير مزدوجة على إسرائيل، وأي نقد حاد لها يُصنف بسهولة كشكل من أشكال معاداة السامية. أما اليهود الذين يقومون بهذا النقد فيُتهمون بـ "كراهية الذات".
- **الحبكة:** صراع وجودي مستمر من أجل البقاء ضد أعداء يسعون لتدمير الدولة اليهودية. أي عمل عسكري هو دفاع مشروع عن النفس.
- **الرسالة: "بقاؤنا يعتمد على قوتنا وتضامننا غير المشروط".**

تجد هذه السردية أقوى تعبير فلسفي لها في أعمال المفكر يورام هازوني (Yoram Hazony)، وتحديداً في كتابه "فضيلة القومية" (The Virtue of Nationalism). يقدم هازوني هجوماً مضاداً مباشراً على "سردية العدالة

الكونية"، التي يصفها بأنها "أممية ليبرالية" (Liberal Internationalism) ويرفضها باعتبارها "أيديولوجية إمبريالية" تسعى لفرض معيار عالمي واحد يمحو الهويات الخاصة.

بالنسبة لهازوني، فإن "الدولة القومية" (وإسرائيل هي المثال النموذجي) هي ليست شراً لا بد منه، بل هي "أفضل شكل للحكم" اخترعته البشرية. هي وحدها القادرة على حماية "روابط الولاء المتبادل" لثقافة وتاريخ مشترك (وهو تعريف يتطابق مع مفهومنا "للعصبية").

بهذا المنطق، فإن "معسكر الولاء" لا يدافع عن إسرائيل كـ "رد علاجي" على الضعف فحسب، بل يدافع عنها باعتبارها تجسيداً لـ "الفضيلة" السياسية، ويرى في منتقديها (معسكر العدالة) خطراً لا يهدد إسرائيل فقط، بل يهدد المبدأ الأخلاقي الأسمى وهو "حق الشعب في حكم نفسه.....

2 المبحث الثاني: سردية "التحرر والمسؤولية الأخلاقية" (سردية معسكر العدالة)

هذه هي السردية المضادة التي ولدت من رحم "الطوفان الثقافي" و"الصدمة الأخلاقية".

- **نقطة البداية:** جوهر اليهودية هو قيم العدالة والرحمة العالمية ومسؤولية "إصلاح العالم" (تيكون عولام). والدرس الأهم من تاريخ الاضطهاد اليهودي هو واجب التضامن مع كل المظلومين.
- **البطل:** كل من يتمسك بالأخلاق العالمية، ويرى في نفسه وريثاً للتقاليد النبوية التي تسعى لـ "إصلاح العالم".
- **الخصم:** أنظمة القوة والاضطهاد، بما في ذلك دولة إسرائيل كقوة احتلال، والمؤسسة اليهودية التقليدية التي توفر لها غطاءً أخلاقياً.
- **الحبكة:** صراع أخلاقي لإنقاذ روح اليهودية من القومية المنغلقة. لقد كشفت "الصدمة الأخلاقية" الأخيرة عن تناقض لا يمكن حله بين قيم اليهودية وأفعال الدولة.
- **الرسالة: "يهوديتنا تأمرنا بالوقوف مع المظلوم. لا يمكن تحقيق أمننا على حساب حرية شعب آخر".**

تستمد هذه السردية قوتها التفكيكية من أعمال الفيلسوفة جوديث بتلر (Judith Butler)، وخاصة في كتابها "طرق الافتراق: اليهودية ونقد الصهيونية" (Parting Ways: Jewishness and the Critique of Zionism). تقدم بتلر الحجة المركزية لهذا المعسكر: وهي أنه لا يمكن نقد عنف الدولة الإسرائيلية بالرغم من كون المرء يهودياً، بل يجب نقده بسبب المبادئ الأخلاقية اليهودية نفسها.

تجادل بتلر بأن الصهيونية كأيديولوجية دولة "تسعى لاحتكار" و"فرض تفسير قومي واحد" للهوية اليهودية، وهو ما يتناقض مع تاريخ "الشتات" (Diaspora). بالنسبة لبتلر، فإن تجربة الشتات اليهودي التاريخية القائمة على العيش "مع" غير اليهودي، تفرض واجباً أخلاقياً دائماً بـ "العيش المشترك" (cohabitation).

لذلك، عندما يستخدم "معسكر العدالة" شعار "ليس باسمنا"، فهو لا يعبر عن موقف سياسي فحسب، بل يطبق حجة بتلر الفلسفية: إنهم ينقذون "اليهودية" كقيمة أخلاقية عالمية من "الصهيونية" كمشروع دولة قومي حصري. هذا يفسر بدقة "الحبكة" التي وصفناها بأنها "صراع أخلاقي لإنقاذ روح اليهودية من القومية المنغلقة".

3 المبحث الثالث: سردية "الحلم الليبرالي المفقود" (سردية الوسط المنهار)

هذه هي السردية المأساوية التي يتمسك بها من يقفون في المنتصف، والذين يرون أن كلا المعسكرين على خطأ.

- **نقطة البداية:** الحلم الأصلي كان بناء دولة "يهودية وديمقراطية" تكون نموذجاً أخلاقياً ومنارة للقيم الليبرالية.
- **البطل:** "إسرائيل الجميلة"، معسكر السلام الإسرائيلي، ورؤية المؤسسين الليبرالية.
- **الخصم:** الاحتلال والمستوطنات، التي تُعتبر "سرطاناً" يهدد روح إسرائيل الديمقراطية ويقضي على حلم السلام.

- **الحبكة:** مأساة مشروع عظيم انحرف عن مساره بسبب اليمين المتطرف. الصراع هو لإنقاذ إسرائيل من نفسها، والعودة لمسار حل الدولتين قبل فوات الأوان.
- **الرسالة: "لكي نكون بحق 'مؤيدين لإسرائيل'، يجب أن نكون 'مؤيدين للسلام'، وهذا يتطلب إنهاء الاحتلال".**

هذه السردية هي التعبير الدقيق عن الأزمة التي وثقها بيتر بينارت (Peter Beinart) في كتابه "أزمة الصهيونية" (The Crisis of Zionism). يمثل بينارت صوت هذا "الوسط" الذي يشعر بالتمزق.

يجادل بينارت بأن "الصهيونية الليبرالية" (حلم الدولة الديمقراطية داخل الخط الأخضر) أصبحت مستحيلة بسبب "الصهيونية غير الليبرالية" (الاحتلال الدائم في الضفة الغربية). يرى بينارت أن سياسات إسرائيل، خاصة تحت قيادة نتنياهو، أصبحت تتناقض بشكل جذري مع "المثل الليبرالية" التي يؤمن بها يهود أمريكا.

الأهم من ذلك، يلقي بينارت باللوم المباشر على "المؤسسة اليهودية الأمريكية" (أي "معسكر الولاء") لفشلها في انتقاد الاحتلال، ويرى أن هذا الصمت هو السبب المباشر في "اغتراب" الأجيال الشابة. إن موقف بينارت، الذي دعا في كتابه إلى التمييز بين إسرائيل والمستوطنات (عبر مقاطعة بضائع المستوطنات فقط)، هو التجسيد الحرفي لمحاولة "الوسط المنهار" للتمسك بـ "إسرائيل الجميلة" (البطل) ومحاربة "الاحتلال" (الخصم) في آن واحد.

خاتمة

إن هذه السرديات الثلاث ليست مجرد آراء سياسية متباينة، بل هي عوالم متكاملة ومغلقة على نفسها. الصراع بينها ليس نقاشاً يمكن حسمه بالحقائق، بل هو "حرب دينية" علمانية على المعنى والغاية. فهم هذه العوالم المتصادمة هو مفتاح فهم سبب عمق الانقسام واستحالة ردمه في الظروف الحالية.

وكما رأينا، فإن هذه العوالم المتصادمة يمثلها فكرياً ثلاثة أصوات: صوت هازوني الذي يرى "القومية" فضيلة، وصوت بتلر الذي يرى "الأخلاق العالمية" هي الجوهر، وصوت بينارت الذي يرى "الأزمة" في استحالة التوفيق بينهما.

13 الفصل الثالث عشر: نموذج التفوق - مقارنات معيارية للحركة الصهيونية

مقدمة

تطرح هذه الدراسة سؤالاً جوهرياً: لماذا نجحت الحركة الصهيونية، في ظل ظروف تاريخية بالغة التعقيد، في تحقيق هدفها الأساسي المتمثل في بناء الدولة، بينما تعثرت حركات قومية أخرى واجهت تحديات مشابهة أو امتلكت مزايا هيكلية مماثلة؟ إن الإجابة على هذا السؤال تتجاوز مجرد تحليل الحركة الصهيونية في عزلة، وتتطلب وضعها ضمن إطار مقارن معياري صارم. يهدف هذا التقرير إلى تفكيك "وصفة النجاح" أو ما يمكن تسميته بـ "نموذج التفوق" الذي اتبعته الحركة الصهيونية، وذلك عبر مقارنتها بحركات قومية أخرى من زوايا متعددة.

لتحقيق هذا الهدف، يعتمد التحليل على إطار مكون من خمسة معايير أساسية للنجاح: هندسة السردية، حشد الشتات، بناء المؤسسات، دعم القوى العظمى، والتوقيت التاريخي. هذه المعايير ليست مجرد عوامل منفصلة، بل هي عناصر متفاعلة ومترابطة، حيث كان النجاح في أحدها يغذي ويُمكّن النجاح في الأخرى، مما خلق دورة حميدة من التعزيز الذاتي. إن فهم هذا التفاعل التآزري هو مفتاح فهم النموذج الصهيوني.

تم اختيار ثلاث دراسات حالة مقارنة لتسليط الضوء على أبعاد مختلفة من هذا النموذج. فالمقارنة مع الحركة القومية الأرمنية تكشف عن الفروق الدقيقة في حشد الشتات وتأمين الدعم الخارجي رغم التشابه في وجود صدمة تأسيسية (المحرقة والإبادة الجماعية) وشتات واسع. أما المقارنة مع الحركة القومية الأيرلندية، فتسمح بتحليل عميق لآليات عمل الشتات في الساحة السياسية الأمريكية، وتوضح كيف تمكنت إحدى الحركات من تحويل قضيتها إلى "مصلحة قومية أمريكية" بينما بقيت الأخرى في إطار التأثير العرقي والثقافي. وأخيراً، تقدم المقارنة المباشرة مع الحركة القومية الفلسطينية، التي تتصارع معها على نفس الأرض، مختبراً حاسماً لأداء الحركتين عبر جميع المعايير الخمسة، مما يكشف عن التباين الجذري في الاستراتيجيات والنتائج.

من خلال هذا التحليل المقارن، تسعى هذه الدراسة إلى تقديم رؤية متعمقة تتجاوز السرديات التقليدية، وتحدد المكونات الاستراتيجية والمؤسسية والسردية التي مكنت الحركة الصهيونية من تحقيق أهدافها بشكل استثنائي، وتقدم بذلك إطاراً تحليلياً لفهم ديناميكيات النجاح والفشل في الحركات القومية الحديثة.

1 المبحث الأول: معايير النجاح - إطار للمقارنة المعيارية

لإجراء مقارنة علمية وموضوعية بين الحركات القومية، لا بد من تأسيس إطار تحليلي واضح يقوم على معايير محددة للنجاح. هذا الإطار لا يقيس النوايا أو عدالة القضية، بل يركز على الفعالية والقدرة على تحقيق الأهداف السياسية المعلنة. سنعتمد في هذا التحليل على خمسة معايير مترابطة، شكل تفاعلها مجتمعةً "نموذج التفوق" الذي مكّن الحركة الصهيونية من تحقيق أهدافها.

هندسة السردية (Narrative Engineering)

لا تقتصر هندسة السردية على مجرد رواية قصة، بل هي عملية "بناء متعمّد للذاكرة الجماعية والسلطة الأخلاقية". إنها القدرة على صياغة وتقديم حكاية قومية تكون مقنعة لأتباع الحركة في الداخل، وفي الوقت نفسه تضفي الشرعية على أهدافها أمام القوى الخارجية والمجتمع الدولي. تتضمن هذه الهندسة تقنيات متعددة مثل الربط الرمزي، حيث يتم تحويل أحداث تاريخية إلى رموز عالمية، وإعادة صياغة اللغة، حيث تستخدم مصطلحات مثل "تحرير" بدلاً من "احتلال" أو "عودة" بدلاً من "استعمار"، وتشبيع الفضاء الإعلامي لترسيخ هذه السردية وجعل إنكارها أمراً صعباً.

في السياق الصهيوني، تم تطبيق هذا المفهوم ببراعة. فقد تم بناء سردية متعددة الطبقات تمزج بين الادعاءات الدينية القديمة ("العودة إلى أرض الميعاد")، والصدمة السياسية الحديثة (المحرقة)، ومبرر علماني على الطراز الاستعماري ("إعمار الصحراء"). هذه السردية المركبة خاطبت جماهير مختلفة بنجاح: المسيحيون المتدينون الذين يؤمنون بالنبوءات التوراتية، والليبراليون العلمانيون الذين تعاطفوا مع ضحايا الاضطهاد، والاستراتيجيون الجيوسياسيون الذين رأوا في المشروع أداة لتحقيق مصالحهم. لقد تم تحويل المحرقة، من خلال عملية بناء ثقافي للصدمة، إلى نقطة مرجعية أخلاقية عالمية، مما أطر قيام الدولة اليهودية كضرورة تاريخية وأخلاقية لا مفر منها.

حشد الشتات (Diaspora Mobilization)

يُعرَّف الشتات بأنه مجموعة من المهاجرين الذين ينحدرون من وطن مشترك ويحافظون على هوية جماعية وروابط مع هذا الوطن. أما حشد الشتات، فهو العملية المنظمة لتوجيه موارد الشتات—المالية والسياسية والبشرية—لخدمة الأهداف القومية للوطن الأم. هذه العملية ليست تلقائية؛ فالأبحاث تشير إلى أن تعبئة الشتات يمكن أن تكون نتيجة للصراع في الوطن الأم وليست مجرد سبب له.

تعتمد فعالية الحشد على آليات محددة، أهمها بناء هوية مشتركة والحفاظ عليها، وغالباً ما يتم ذلك من خلال شبكة من المؤسسات المتخصصة التي تعمل كقنوات لتنظيم العمل الجماعي. كما تلعب سياسات الوطن الأم في التواصل مع الشتات دوراً حاسماً في تعزيز هذه الروابط أو إضعافها. يمكن أن يتخذ حشد الشتات أشكالاً متنوعة، تتراوح بين دعم الصراعات العنيفة، كما في بعض الحالات، والعمل كعناصر فاعلة في بناء السلام في حالات أخرى.

بناء المؤسسات (Institution Building)

يتمثل هذا المعيار في قدرة الحركة القومية على إنشاء مؤسسات سياسية واقتصادية وعسكرية واجتماعية قوية وفعالة، سواء قبل تحقيق السيادة الرسمية أو بعدها. إن بناء المؤسسات هو ما يحول الحركة من مجرد فكرة أو مجموعة من الناشطين إلى كيان سياسي منظم قادر على الحكم وإدارة الموارد وتوفير الخدمات.

إن نموذج "الدولة قيد التكوين" (state-in-the-making) هو المثال الأبرز على أهمية هذا المعيار. فتجربة "اليشوف" (المجتمع اليهودي في فلسطين قبل عام 1948) تظهر كيف يمكن لمجتمع أن يبني كياناً سياسياً شبه مستقل من الداخل، مع مؤسساته الخاصة التي تعمل بالتوازي مع سلطة الانتداب القائمة. وبالمثل، تُظهر تجربة اليابان في عهد ميجي كيف يمكن لنخبة جديدة أن تبني بسرعة جهاز دولة حديثاً (دستور، بيروقراطية، جيش، نظام تعليمي) من خلال الاستفادة من الرموز الوطنية القائمة وتحديثها. إن القدرة على بناء هذه المؤسسات قبل الاستقلال تمنح الحركة ميزة حاسمة، حيث تكون جاهزة لتولي السلطة بفعالية عند نشوء الفرصة التاريخية.

دعم القوى العظمى (Great Power Patronage)

يُقصد بهذا المعيار تأمين دعم سياسي ومالي وعسكري حاسم من قوة عالمية كبرى في لحظة تاريخية مفصلية. هذا الدعم يتجاوز التعاطف العام أو التأييد الرمزي، ليصبح علاقة استراتيجية ترى فيها القوة الراعية أن نجاح الحركة القومية يتماشى مع مصالحها الجيوسياسية.

تخضع ديناميكيات هذا الدعم لمنطق "الواقعية السياسية" (realpolitik) والمنافسة بين القوى العظمى، أكثر من خضوعها للاعتبارات الأيديولوجية أو الأخلاقية. يمكن للقوة الراعية أن تُمكّن عميلها أو تقيده، وغالباً ما تستخدم المساعدات العسكرية كأداة ضغط رئيسية. إن نجاح أي حركة قومية، خاصة في بيئة دولية معادية، يعتمد بشكل كبير على قدرتها على فهم هذه المنافسات بين القوى العظمى واستغلالها لصالحها.

التوقيت التاريخي (Historical Timing)

يشير هذا المعيار إلى قدرة الحركة على إدراك واستغلال النوافذ الزمنية من الفرص التي تتيحها التحولات الجيوسياسية الكبرى، مثل انهيار الإمبراطوريات، أو الحروب العالمية، أو تغير موازين القوى الدولية. التوقيت التاريخي ليس مجرد مسألة حظ، بل هو انعكاس للاستعداد الاستراتيجي والجهوزية المؤسسية التي تسمح للحركة بالتحرك بسرعة وفعالية عند ظهور الفرصة.

على سبيل المثال، أدى صعود الأحادية القطبية الأمريكية بعد الحرب الباردة إلى إعادة تشكيل المشهد السياسي العالمي بشكل جذري للعديد من الفاعلين الدوليين. كما أن توقيت ظهور دولة ما يمكن أن يؤثر على مسار تطورها بالكامل. فالحركة التي تكون مستعدة بمؤسساتها وسرديتها وشبكاتها في الشتات هي الأقدر على اقتناص اللحظة التاريخية وتحويلها إلى مكسب سياسي دائم.

2 المبحث الثاني: دراسة حالة مقارنة - الصهيونية والقومية الأرمنية

تُعد المقارنة بين الحركتين الصهيونية والأرمنية من أكثر المقارنات دلالة، نظراً للتشابهات العميقة في الظروف التاريخية التي واجهها الشعبان. كلاهما حركة قومية لشعبين لهما تاريخ قديم وارتباط عميق بوطن تاريخي، وكلاهما يمتلك شتاتاً واسعاً ومنتشراً، والأهم من ذلك، أن هويتهما القومية الحديثة تشكلت في بوتقة

صدمة تأسيسية كارثية: المحرقة بالنسبة لليهود، والإبادة الجماعية بالنسبة للأرمن. كلتا الحركتين سعتا في البداية للحصول على حكم ذاتي أو وضع أفضل ضمن الإمبراطوريات القائمة (العثمانية والروسية) قبل أن تتجه نحو هدف الاستقلال الكامل. على الرغم من هذه التشابهات، كانت النتائج التي حققتها الحركتان متباينة بشكل كبير، مما يطرح سؤالاً حول أسباب هذا التباين.

زوايا المقارنة

هندسة السردية

يكمن أحد الفروق الجوهرية في طبيعة السردية التي صاغتها كل حركة. كانت السردية الصهيونية استباقية وموجهة نحو المستقبل، حيث قامت على فكرة "العودة" و"الخلاص" لأرض الميعاد. لم تكن مجرد رد فعل على الاضطهاد، بل كانت مشروعاً سياسياً فاعلاً يهدف إلى "بناء" واقع جديد. لقد دمجت هذه السردية ببراعة بين النبوءات التوراتية القديمة ومشروع علماني حديث لـ "جعل الصحراء تزدهر"، مما منحها جاذبية واسعة. لاحقاً، تم دمج المحرقة في هذه السردية ليس فقط كدليل على معاناة اليهود، بل كحجة أخلاقية قاطعة تبرر ضرورة وجود دولة يهودية كملاذ آمن، وقد تم العمل بوعي على تحويل النازية إلى رمز عالمي للشر المطلق، مما أضفى على المشروع الصهيوني طابع الضرورة الأخلاقية العالمية.

في المقابل، كانت السردية القومية الأرمنية، في جزء كبير منها، ترتكز على الماضي، وتتمحور حول ذكرى الإبادة الجماعية والمطالبة بالعدالة والاعتراف. كانت سردية بقاء وصمود في وجه محاولة الإبادة، لكنها افتقرت إلى العنصر المسياني الفاعل والموجه نحو "العودة" الذي ميز الصهيونية. ورغم أن السردية الأرمنية استندت إلى تاريخ عريق (مثل مملكة أورارتو)، إلا أن تركيزها الأساسي ظل منصباً على العدو التقليدي (الأتراك) والمطالبة بالاعتراف بالظلم التاريخي، و ولكنه أقل قدرة على حشد الطاقات نحو مشروع بناء دولة عملي ومحدد.

حشد الشتات

يظهر التباين الأكبر بين الحركتين في قدرتهما على حشد الشتات. كان الشتات اليهودي، وخاصة في الولايات المتحدة، منظماً بشكل استثنائي حول هدف سياسي واحد وواضح: دعم إقامة الدولة اليهودية. وقد تم إنشاء مؤسسات فعالة مثل

الصندوق القومي اليهودي (JNF) والمنظمة الصهيونية الأمريكية لجمع الأموال وممارسة الضغط السياسي بشكل منهجي ومنظم. كانت هذه المؤسسات بمثابة أذرع تنفيذية لمشروع سياسي محدد.

أما الشتات الأرمني، فقد واجه تحديات هيكلية كبيرة. يشير تقرير للمنظمة الدولية للهجرة إلى "غياب إطار منهجي للتعاون" بين أرمينيا وشتاتها، بالإضافة إلى "مشاكل في الثقة" وانفصال بين الهوية التاريخية والارتباط الملموس بالدولة الأرمنية الحديثة. يعود جزء من هذا التحدي إلى أن قسماً كبيراً من الشتات الأرمني ينحدر من أرمينيا الغربية (الواقعة الآن في تركيا)، وليس من جمهورية أرمينيا الحالية، مما يخلق تعقيدات في الهوية والولاء. هذا الانقسام الجغرافي والتاريخي حال دون تركيز طاقات الشتات بنفس القدر من الفعالية التي تميز بها الشتات اليهودي، الذي كان موحداً حول هدف واحد هو "العودة" إلى أرض واحدة متنازع عليها.

إن الفارق الجوهري في فعالية الشتات لا يعود إلى نقص في الوطنية لدى الأرمن، بل إلى طبيعة المشروع القومي نفسه. كان المشروع الصهيوني مشروعاً بنائياً مستقبلياً لدولة جديدة، وهو ما وحد الشتات حول هدف ملموس وقابل للتحقيق. في المقابل، كان المشروع القومي الأرمني مجزأً بين مهمة الحفاظ على ذكرى وطن مفقود (أرمينيا الغربية) ومهمة دعم دولة قائمة لكنها مقيدة جيوسياسياً (جمهورية أرمينيا). هذا التشتت في الأهداف أضعف من قدرة الشتات على العمل كقوة موحدة وفعالة. فالشتات يكون في أقصى درجات فعاليته عندما يتم حشده من قبل مشروع سياسي واحد، مقنع، وموجه نحو المستقبل، وليس مجرد مجموعة من المظالم التاريخية أو دعم لدولة قائمة تواجه تحديات جيوسياسية هائلة. إن "المشروع" نفسه هو الذي ينظم ويضبط الشتات.

⇦ دعم القوى العظمى والتوقيت التاريخي

في هذا المجال، يظهر الفارق الحاسم بين الحركتين. نجحت الحركة الصهيونية في تأمين رعاية القوى العظمى في لحظتين تاريخيتين حاسمتين. الأولى كانت مع بريطانيا، القوة الإقليمية المهيمنة بعد الحرب العالمية الأولى، من خلال وعد بلفور عام 1917. لم يكن هذا الوعد نابعاً من تعاطف أخلاقي بحت، بل كان نتيجة حسابات بريطانية في زمن الحرب، بما في ذلك استغلال الصور النمطية المعادية للسامية

حول النفوذ المالي اليهودي العالمي للتأثير على مسار الحرب. اللحظة الثانية كانت مع الولايات المتحدة، القوة الصاعدة بعد الحرب العالمية الثانية، التي قدمت اعترافاً فورياً بإسرائيل عام 1948، ثم أصبحت راعيها الاستراتيجي والمالي والعسكري الأول.

على النقيض من ذلك، فشلت الحركة القومية الأرمنية في الحصول على راعٍ قوي ومستمر. فالآمال التي عُلقت على روسيا القيصرية تحطمت مراراً بسبب سياسات الترويس التي انتهجتها روسيا نفسها. أما الدعم الغربي، فبقي في معظمه رمزياً ومقيداً بالأهمية الاستراتيجية لتركيا كحليف رئيسي في حلف الناتو خلال الحرب الباردة. والمفارقة الكبرى هي أن إسرائيل نفسها، ولأسباب استراتيجية تتعلق بعلاقاتها مع تركيا وأذربيجان، امتنعت تاريخياً عن الاعتراف الرسمي بالإبادة الجماعية الأرمنية. هذا الموقف يكشف بوضوح كيف أن المصالح الجيوسياسية تتفوق على الاعتبارات الأخلاقية أو التشابهات التاريخية، ويُظهر كيف أن الحركة الأرمنية وجدت نفسها ضحية لنفس الحسابات الاستراتيجية التي نجحت الحركة الصهيونية في استغلالها.

3 المبحث الثالث: دراسة حالة مقارنة - الصهيونية والقومية الأيرلندية

تقدم المقارنة بين الحركتين الصهيونية والأيرلندية رؤى قيمة حول ديناميكيات حشد الشتات، خاصة في الولايات المتحدة، حيث يمتلك كلا الشعبين جالية كبيرة ومؤثرة. تتشابه الحركتان في عدة جوانب: كلتاهما خاضتا صراعاً طويلاً ضد الإمبراطورية البريطانية، وكلتاهما تمتلكان شتاتاً قوياً ومنظماً في أمريكا، وتعتمدان على ارتباط ثقافي وديني عميق بالوطن الأم. كما أن كلتا الحركتين سعتا إلى إحياء لغة قديمة (العبرية والغيلية) كجزء من مشروع بناء الهوية الوطنية، ورأتا في نفسيهما حركات لشعوب أصيلة "تعود إلى التاريخ" هرباً من حاضر متدهور. بل كانت هناك روابط مباشرة وإعجاب متبادل بين العناصر الراديكالية في الحركتين. ومع ذلك، فإن الفحص الدقيق لفعالية اللوبي الخاص بكل منهما في واشنطن يكشف عن اختلافات استراتيجية جوهرية.

زوايا المقارنة: فعالية اللوبي في واشنطن

يكمن جوهر المقارنة في تحليل سبب نجاح اللوبي الصهيوني في تحقيق تأثير استراتيجي أعمق وأكثر ديمومة في السياسة الخارجية الأمريكية مقارنة باللوبي الأيرلندي.

اللوبي الإسرائيلي: من قضية عرقية إلى مصلحة استراتيجية

لم تقتصر استراتيجية اللوبي الإسرائيلي على حشد الدعم من الجالية اليهودية الأمريكية، بل نجحت في تحقيق نقلة نوعية عبر تحويل قضية إسرائيل من مجرد قضية عرقية أو دينية إلى ركيزة أساسية من ركائز "المصلحة القومية الأمريكية". تم تحقيق ذلك من خلال عدة آليات:

1. **التأطير الاستراتيجي:** تم تقديم إسرائيل كحليف ديمقراطي وموثوق به في منطقة الشرق الأوسط خلال الحرب الباردة، وكحصن ضد النفوذ السوفيتي. وبعد ذلك، تم تصويرها كشريك أساسي في "الحرب على الإرهاب". هذا التأطير الاستراتيجي جعل دعم إسرائيل يبدو كاستثمار في أمن الولايات المتحدة نفسها.

2. **بناء تحالف واسع:** كان الإنجاز الأبرز للوبي هو تجاوزه لحدود الجالية اليهودية وبناء تحالف قوي مع اليمين المسيحي الإنجيلي في الولايات المتحدة. أصبحت منظمات مثل "مسيحيون متحدون من أجل إسرائيل" (CUFI)، التي تضم ملايين الأعضاء، أكبر مجموعة ضغط مؤيدة لإسرائيل، مما منح القضية قاعدة دعم شعبية هائلة تتجاوز بكثير حجم الجالية اليهودية.

3. **التنظيم والتمويل المتطور:** يتميز اللوبي الإسرائيلي بشبكة معقدة ومنظمة للغاية من جماعات الضغط (مثل إيباك AIPAC)، ولجان العمل السياسي (PACs)، ومراكز الفكر، التي تعمل بتنسيق عالٍ. يصعب تتبع نفوذها المالي بالكامل لأنه مدمج في قطاعات اقتصادية رئيسية، مما يمنحه قوة تتجاوز التبرعات السياسية المباشرة.

اللوبي الأيرلندي: التأثير الثقافي والسياسي المحدد

في المقابل، ظل تأثير اللوبي الأيرلندي، رغم قوته ونجاحه في تحقيق أهداف محددة، محصوراً إلى حد كبير في إطار التأثير العرقي والثقافي والسياسي الداخلي.

1. **أهداف محددة:** ركز اللوبي الأيرلندي تاريخياً على أهداف ملموسة وواضحة: دعم استقلال أيرلندا، التوسط في اتفاقية الجمعة العظيمة، وفي الآونة الأخيرة، الضغط من أجل إصلاحات قوانين الهجرة لصالح المهاجرين الأيرلنديين غير

الشرعيين. كانت هذه الأهداف تتعلق بشكل مباشر بأيرلندا ومصالح الجالية الأيرلندية، ولم يتم تأطيرها كضرورة استراتيجية أمريكية.

2. **قاعدة دعم أضيق:** ظل اللوبي الأيرلندي في معظمه لوبياً عرقياً، مرتبطاً بشكل أساسي بالحزب الديمقراطي والهوية الكاثوليكية. لم ينجح في بناء تحالف استراتيجي واسع وعابر للأحزاب بنفس حجم وقوة التحالف اليهودي-المسيحي الداعم لإسرائيل.

3. **تطور العلاقة:** مع تحقيق السلام في أيرلندا الشمالية وازدهار الاقتصاد الأيرلندي، تغيرت طبيعة العلاقة. انتقدت بعض الأصوات، مثل ترينا فارغو، اعتماد العلاقة الأمريكية-الأيرلندية على "ارتباطات عاطفية لكبار السن من الأمريكيين الأيرلنديين"، ودعت إلى تحويلها إلى شراكة بين ندّين. وفي السنوات الأخيرة، أدى الموقف الأيرلندي الرسمي والشعبي المنتقد لسياسات إسرائيل تجاه الفلسطينيين إلى خلق شرخ مع الإجماع المؤيد لإسرائيل في واشنطن، مما يحد من نفوذ اللوبي الأيرلندي في هذا المجال تحديداً.

يوضح الجدول التالي بشكل منهجي الفروق الجوهرية بين استراتيجيات اللوبيين، مما يكشف عن الأسباب الكامنة وراء تباين تأثيرهما على السياسة الخارجية الأمريكية.

المعيار	اللوبي الإسرائيلي	اللوبي الأيرلندي
الهدف الأساسي	بناء الدولة وأمنها المستمر	استقلال أيرلندا، عملية السلام، الهجرة
الإطار السردي	أصل استراتيجي للولايات المتحدة، قيم يهودية-مسيحية مشتركة	حقوق الإنسان، تقرير المصير، تراث عرقي
قاعدة الدعم	عابر للأحزاب: يهود أمريكيون + مسيحيون إنجيليون	ديمقراطي بشكل أساسي: أمريكيون أيرلنديون
المنظمات الرئيسية	AIPAC, CUFI, Conference of Presidents	INC, AOH, ILIR
العلاقة مع الراعي	جزء لا يتجزأ من السياسة الخارجية الأمريكية	شريك مقدر، لكنه هامشي للاستراتيجية الأمريكية الأساسية

إن نجاح الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة لم يكن مجرد نتيجة لوبي فعال، بل كان نتيجة "تكامل أيديولوجي" عميق. لقد نجحت في تطعيم مشروعها القومي على الأساطير التأسيسية والمخاوف الاستراتيجية لراعيها الأمريكي. فقد لاقت السردية الصهيونية القائمة على العودة التوراتية إلى الأرض المقدسة صدى عميقاً لدى البروتستانتية الأمريكية، وهو أساس ثقافي وأيديولوجي افتقر إليه اللوبي الأيرلندي. كما أن فكرة إسرائيل كقاعدة ديمقراطية في منطقة معادية تناسبت تماماً مع ثنائية الحرب الباردة. في المقابل، انخرطت الحركة الأيرلندية، رغم نجاحها في تحقيق أهدافها، في ضغط سياسي "تعاملي" لتحقيق نتائج محددة. إن التأثير النهائي لأي حركة شتات يعتمد على قدرتها على تحقيق "رنين سردي" مع الثقافة السياسية الأساسية للبلد المضيف. لقد حققت الحركة الصهيونية ذلك من خلال مواءمة نفسها مع "الروح" الدينية (التراث اليهودي-المسيحي) و"العقل" الاستراتيجي (الواقعية الجيوسياسية) للقوة الأمريكية. أما اللوبي الأيرلندي، فقد خاطب في المقام الأول "الضمير" (حقوق الإنسان) و"القلب" (الروابط العرقية)، وهي أمور قوية، لكنها أقل ديمومة من الناحية المؤسسية.

4 المبحث الرابع: دراسة حالة مقارنة - الصهيونية والقومية الفلسطينية

تمثل المقارنة بين الحركتين القوميتين الصهيونية والفلسطينية الحالة الأكثر مباشرة وحساسية، حيث أنها تقارن بين حركتين ولدتا في نفس الفترة التاريخية تقريباً، وتتنازعان على نفس الأرض، وقد تشكلت هوية كل منهما إلى حد كبير كرد فعل على الأخرى. إن تحليل أداء الحركتين عبر المعايير الخمسة المحددة يكشف عن تباين جذري في الاستراتيجيات والموارد والنتائج، ويوفر فهماً عميقاً لأسباب تفوق إحداهما على الأخرى في تحقيق أهدافها السياسية.

1 هندسة السردية

كانت السردية الصهيونية استباقية ومصممة بعناية للاستهلاك الخارجي. لقد قامت على فكرة "العودة" إلى وطن توراتي، وهي فكرة ذات صدى عميق في الثقافة الغربية اليهودية-المسيحية. وعززت هذه السردية صدمة المحرقة، التي قدمت مبرراً أخلاقياً وسياسياً لا يقبل الجدال لضرورة وجود دولة يهودية. الأهم من ذلك، أن هذه السردية عملت بشكل منهجي على محو الوجود

الفلسطيني من خلال ممارسات مادية ورمزية مثل رسم الخرائط التي تتجاهل القرى الفلسطينية، والتنقيب عن الآثار لإثبات "الحق التاريخي" اليهودي، وزراعة غابات الصنوبر لإضفاء طابع أوروبي على المشهد الطبيعي وإخفاء معالم القرى المهجرة. لقد اعتمدت السردية الصهيونية التقليدية على إبقاء القصة الفلسطينية "مخفية بالكامل في الظل".

في المقابل، كانت السردية القومية الفلسطينية في جوهرها سردية تفاعلية، سردية "صمود" ومقاومة في وجه الاقتلاع والمحو. إنها قصة ارتباط أصيل بالأرض، لكنها لعدة عقود كافحت من أجل الحصول على زخم دولي في مواجهة القصة الصهيونية الأكثر قوة ورنيناً في الغرب. كانت سردية مقاومة للمحو بدلاً من أن تكون سردية خلق لواقع جديد. وفي حين أن هذه السردية تمتلك قوة أخلاقية هائلة، إلا أنها كانت أقل فعالية في حشد الدعم الدولي المادي والسياسي اللازم لتحقيق أهدافها.

2 حشد الشتات

كان الشتات اليهودي قوة عالمية منظمة وموحدة حول هدف واحد وواضح: تمويل ودعم مشروع بناء الدولة سياسياً. لقد عملت مؤسسات مثل الصندوق القومي اليهودي والوكالة اليهودية كجهات فاعلة شبه حكومية منذ البداية، حيث قامت بشراء الأراضي وتنظيم الهجرة وبناء البنية التحتية. كان هذا الشتات محركاً أساسياً للمشروع، وليس مجرد داعم له.

أما الشتات الفلسطيني، فقد كان مجزأً وواجه تحديات هائلة. يتكون جزء كبير منه من لاجئين موزعين في دول مختلفة، بوضعيات قانونية متباينة، مما يعيق قدرتهم على الحركة والتنظيم. وقد أدى تراجع منظمة التحرير الفلسطينية بعد اتفاقيات أوسلو إلى خلق فراغ في القيادة، وترك الشتات منفصلاً عن الهيكل السياسي الرسمي (السلطة الفلسطينية)، الذي يعاني هو نفسه من أزمة شرعية. ورغم حيوية النشاط الشعبي في الشتات، إلا أنه يفتقر إلى القوة المؤسسية المركزية التي يتمتع بها نظيره الصهيوني.

3 بناء المؤسسات

يظهر هنا أحد أوضح الفروقات. كان النموذج الصهيوني (اليشوف) مثالاً نموذجياً لبناء مؤسسات الدولة من الداخل وقبل الحصول على السيادة. لقد أنشأ اليشوف دولة موازية تحت الانتداب البريطاني، مع هيئاته السياسية الخاصة (المجلس الوطني)، وقوته الاقتصادية (الهستدروت)، وأنظمته التعليمية (الجامعة العبرية)، وقواته شبه العسكرية (الهاغاناه). كانت النخبة السياسية محلية، تشكلت تدريجياً، وكانت مسؤولة أمام جمهورها المحلي، مما خلق كياناً قوياً وجاهزاً للحكم بحلول عام 1948.

على النقيض تماماً، كان النموذج الفلسطيني (منظمة التحرير) نموذجاً لبناء المؤسسات في المنفى. عملت منظمة التحرير كـ "حكومة في المنفى"، معترف بها دولياً ولكنها منفصلة جسدياً وسياسياً عن السكان في فلسطين. عندما عادت قيادة منظمة التحرير بعد أوسلو، تم "إنزالها بالمظلات" على مجتمع مدني وسكان محليين تطوروا بشكل منفصل، مما أدى إلى أزمة شرعية وفساد وفشل في إرساء مؤسسات ديمقراطية وخاضعة للمساءلة.

4 دعم القوى العظمى

أتقنت الحركة الصهيونية فن تأمين رعاية القوى العظمى والانتقال بينها. فقد استغلت احتياجات بريطانيا الإمبريالية خلال الحرب العالمية الأولى، واستفادت من الإطار القانوني للانتداب، ثم تحولت ببراعة إلى القوة الأمريكية الصاعدة، التي قدمت اعترافاً فورياً في عام 1948 وأصبحت شريكها الاستراتيجي الذي لا غنى عنه.

في المقابل، فشلت الحركة القومية الفلسطينية باستمرار في تأمين راعٍ موثوق به من القوى العظمى. كان دعم الدول العربية في كثير من الأحيان خطابياً أو استخدم الفلسطينيين كبيادق في التنافس بين الدول العربية. أما الدعم السوفيتي خلال الحرب الباردة فكان انتهازياً وغير موثوق في نهاية المطاف. وهكذا، وجد الفلسطينيون أنفسهم يتنقلون في نظام عالمي تم تشكيله من قبل الراعي الأساسي لخصمهم.

5 التوقيت التاريخي

توقيت الحركة الصهيونية كان مثالياً. فقد برزت كقوة سياسية حديثة مع انهيار الإمبراطورية العثمانية. واستغلت لحظة ما بعد الحرب العالمية الأولى عندما كانت بريطانيا وفرنسا تعيدان رسم خريطة الشرق الأوسط. وأعلنت قيام دولتها في اللحظة الدقيقة التي انتهى فيها الانتداب البريطاني، وفي وقت نادر كانت فيه الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي متفقتين على دعم خطة التقسيم.

أما القومية الفلسطينية، فقد تبلورت كقوة متماسكة في وقت كان فيه النظام الدولي يُبنى ضد مصالحها. لم يؤد انهيار الإمبراطورية العثمانية إلى استقلال الفلسطينيين، بل إلى انتداب بريطاني ملتزم بمشروع خصمهم. لقد أصبحوا حركة قومية بدون دولة في عصر كانت فيه الدولة القومية هي الوحدة السياسية الشرعية الوحيدة.

إن الفرق التأسيسي بين الحركتين يكمن في علاقتهما بعملية بناء الدولة. كانت الحركة الصهيونية مشروعاً لخلق دولة، بينما أصبحت الحركة الفلسطينية مشروعاً للسعي وراء دولة. هذا ليس مجرد تمييز لفظي، بل هو ما حدد استراتيجيتهما بالكامل. لقد تصرف الييشوف كدولة قبل أن يصبح دولة: جمع الأموال، بنى البنية التحتية، وأنشأ جيشاً. كان هدفه خلق

حقائق على الأرض. في المقابل، تصرفت منظمة التحرير كحكومة في المنفى، تسعى للحصول على اعتراف دولي وحل دبلوماسي يمنحها دولة. كان هدفها تحقيق حقوق في الساحة الدولية. إن وضعية "خلق الدولة" أجبرت الحركة الصهيونية على إعطاء الأولوية للتماسك الداخلي، والبناء المؤسسي العملي، والتحالفات البراغماتية مع القوة. أما وضعية "السعي وراء الدولة" فقد دفعت الحركة الفلسطينية إلى إعطاء الأولوية للشرعية الدولية، والنقاء الأيديولوجي (مثل حق العودة)، والاعتماد على الرعاة العرب الخارجيين. في صراع على الأرض، فإن الحركة التي تركز على بناء قدرة سيادية على الأرض (نموذج خلق الدولة) تمتلك ميزة هيكلية حاسمة على الحركة التي تركز على تحقيق الاعتراف في الخارج (نموذج السعي وراء الدولة). الأولى تبني القوة داخلياً، بينما تظل الثانية معتمدة على أهواء الفاعلين الخارجيين.

خاتمة: تفكيك "نموذج التفوق"

يكشف التحليل المقارن المعياري الذي تم إجراؤه في هذا التقرير أن "تفوق" الحركة الصهيونية في تحقيق هدفها المتمثل في إقامة دولة لم يكن نتيجة لعامل واحد أو ضربة حظ، بل كان نتاجاً لتفاعل تآزري قوي بين خمسة معايير استراتيجية مترابطة. إن "وصفة النجاح" لم تكن قائمة من المكونات المنفصلة، بل كانت عملية ديناميكية من المواءمة الاستراتيجية التي خلقت دورة حميدة من التعزيز الذاتي.

لقد قامت الحركة الصهيونية ببناء **سردية** قوية ومقنعة عن "العودة" والخلاص، وهي سردية لم تكن موجهة للداخل فحسب، بل صُممت بعناية لتتردد أصداؤها لدى القوى الغربية. هذه السردية الفعالة كانت بدورها أداة حاسمة في **حشد الشتات**، حيث وفرت له هدفاً سياسياً واضحاً وموحداً. الأموال والنفوذ السياسي الذي وفره الشتات المنظم استُخدما لتمويل عملية **بناء مؤسسات** شبه حكومية على الأرض في فلسطين، مما خلق "دولة قيد التكوين" (اليشوف) قبل الاستقلال الرسمي. هذه المؤسسات القوية والفعالة جعلت المشروع الصهيوني شريكاً جذاباً وقابلاً للحياة في نظر القوى العظمى، مما سهل الحصول على **دعم القوى العظمى**، أولاً من بريطانيا ثم من الولايات المتحدة. وأخيراً، أظهرت قيادة الحركة براعة في استغلال **التوقيت التاريخي**، حيث استثمرت انهيار الإمبراطورية العثمانية، وفوضى ما بعد الحربين العالميتين، واللحظة الدقيقة لانتهاء الانتداب البريطاني لتأمين هذا الدعم وتحويله إلى سيادة فعلية.

هذه الدورة المتكاملة هي جوهر "نموذج التفوق". فكل نجاح في أحد المعايير كان يمهد الطريق ويضخم فرص النجاح في المعايير الأخرى. في المقابل، واجهت الحركات القومية الأرمنية والأيرلندية والفلسطينية، رغم امتلاكها لنقاط قوة في بعض هذه المعايير، تحديات حالت دون تحقيق هذا التآزر الكامل. فقد عانت الحركة الأرمنية من شتات منقسم الأهداف وسردية تركز على الماضي، وفشلت في تأمين راعٍ قوي. ورغم نجاح اللوبي الأيرلندي، إلا أنه ظل محصوراً في إطار التأثير العرقي ولم يتمكن من دمج قضيته في صلب الاستراتيجية القومية الأمريكية. أما الحركة الفلسطينية، فقد وجدت نفسها في موقف تفاعلي، تبني مؤسساتها في المنفى وتعتمد على سردية مقاومة، بينما كان خصمها يبني وقائع على الأرض بدعم من القوة العظمى المهيمنة.

في الختام، يمكن القول إن الحركة الصهيونية نجحت لأنها جمعت بين بناء كيان سيادي على الأرض، وتغليفه بسردية قوية لاقت صدى لدى راعٍ قوي، والاستعداد للتحرك بشكل حاسم في لحظة تحول عالمي. ومع ذلك، فإن هذا النموذج نفسه يواجه اليوم تحديات جديدة. فالسردية الصهيونية تتعرض لتآكل متزايد في الغرب مع انتشار السردية الفلسطينية البديلة، كما أن التأييد الشعبي في الولايات المتحدة لسياسات إسرائيل العسكرية يشهد انخفاضاً ملحوظاً. ويبقى السؤال مطروحاً حول مدى استدامة هذا النموذج في ظل نظام عالمي متغير، وحول ما إذا كان الاعتماد الكلي على راعٍ واحد يشكل نقطة ضعف استراتيجية في المستقبل

04

04

الجزء الرابع:
الخـاتمـة التحـليليـة
استشـراف المستـقـبـل

4

الجزء الرابع:

الخاتمة التحليلية - استشراف المستقبل

في الأجزاء السابقة، قمنا برحلة تحليلية عميقة لفهم كيف تشكلت "عصبية البقاء" وكيف تتصدع اليوم تحت وطأة "طوفان ثقافي" غير مسبوق. الآن، في هذا الجزء الختامي، ننتقل من التشخيص إلى الاستشراف. لم يعد السؤال "هل سيحدث انقسام؟" بل "ما هو شكل الانقسام القادم وما هي تداعياته؟". يهدف هذا الجزء إلى تقديم سيناريوهات محتملة للمستقبل، وتزويد القارئ بمنهجية واضحة لمراقبة هذه التحولات التاريخية ورصدها بنفسه.

14 الفصل الرابع عشر: سيناريوهات المستقبل ومنهجية الرصد

مقدمـــة

في الأجزاء السابقة، قمنا برحلة تحليلية عميقة لفهم كيف تشكلت "عصبية البقاء" وكيف تتصدع اليوم تحت وطأة "طوفان ثقافي" غير مسبوق. الآن، في هذا الجزء الختامي، ننتقل من التشخيص إلى الاستشراف. لم يعد السؤال "هل سيحدث انقسام؟" بل "ما هي طبيعة التحولات القادمة وما هي تداعياتها؟".

من المهم التأكيد منذ البداية أن السيناريوهات المطروحة في هذا الفصل **لا تمثل نبوءات حتمية**، بل هي "تمرينات فكرية تحليلية" تهدف إلى استكشاف المسارات المحتملة التي قد يسلكها المجتمع اليهودي الأمريكي بناءً على المعطيات الحالية. الواقع، على الأغلب، لن يتبع مساراً واحداً بشكل كامل، بل قد يكون مزيجاً معقداً من عناصر هذه السيناريوهات المختلفة. إن الهدف من طرحها هو تزويد القارئ بإطار منهجي يساعده على فهم الديناميكيات المستقبلية وتفسير الأحداث عند وقوعها.

1 المبحث الأول: خمسة سيناريوهات محتملة للمستقبل

تقف العصبية اليهودية الأمريكية اليوم في حالة "سيولة"، حيث يستنزف الصراع الداخلي طاقتها. الأمر المؤكد هو أن عهد الإجماع المصنوع قد انتهى. بناءً على موازين القوى وديناميكيات الصراع، يمكننا رسم خمسة سيناريوهات رئيسية تلوح في الأفق.

- **السيناريو الأول:** هذا هو السيناريو الأكثر مباشرة، حيث يستمر المسار الحالي ويتعمق. يتبلور الانقسام ليصبح شرخاً مؤسسياً دائماً، مما يؤدي إلى وجود **معسكرين يهوديين أمريكيين متمايزين ومتنافسين:**
  - **معسكر تقليدي:** يتمحور حول الولاء القومي ويحافظ على سيطرته على المؤسسات الكبرى القائمة.
  - **معسكر تقدمي:** يتمحور حول قيم العدالة الكونية، وينجح في بناء مؤسساته البديلة (إعلامية، أكاديمية، دينية). النتيجة هي انهيار "الوسط" تماماً، ودخول الهوية اليهودية في حالة "حرب أهلية ثقافية باردة" ومستمرة، حيث يعمل كل طرف كعالم موازٍ للآخر.

- **السيناريو الثاني: هيمنة التيار التقليدي والانكفاء (Conservative Retrenchment)**

في هذا السيناريو، ينجح "المعسكر التقليدي"، مستخدماً نفوذه المالي والمؤسسي الهائل، في احتواء المعارضة الداخلية بشكل فعال. لا يعني هذا سحقها بالكامل، بل تهميشها وعزلها عن مصادر التأثير والتمويل. النتيجة هي جالية يهودية منظمة أصغر حجماً من حيث التنوع الفكري، لكنها أكثر انسجاماً أيديولوجياً وانعزالاً عن التيارات التقدمية في المجتمع الأوسع. ستكون عصبية منكمشة، لكنها متماسكة في وجه ما تراه عالماً معادياً.

- **السيناريو الثالث: إعادة الاصطفاف ثلاثي الأقطاب (The Tri-Polar Realignment)**

هذا سيناريو مختلط وأكثر تعقيداً. بدلاً من انهيار الوسط، ينجح هذا التيار في إعادة تشكيل نفسه كقطب ثالث فاعل. يصبح المشهد مكوناً من ثلاثة أقطاب رئيسية:

1. **اليمين القومي:** ممثلاً في المؤسسة التقليدية.
2. **اليسار التقدمي:** ممثلاً في الحركات المناهضة للاحتلال.
3. **الوسط الليبرالي الجديد:** ممثلاً في منظمات تعمل على إيجاد طريق ثالث يجمع بين أمن إسرائيل وحقوق الفلسطينيين، محاولاً جذب الأغلبية الصامتة التي لا تشعر بالانتماء الكامل للقطبين المتصارعين. النتيجة هي مشهد سياسي أكثر تعقيداً، لكنه قد يكون أكثر استقراراً من الانقسام الحاد.

السيناريو الرابع: التفتت المنظم واللامركزية (Managed Fragmentation)

يفترض هذا السيناريو أن الصراع لا يؤدي إلى إعادة اصطفاف في أقطاب كبرى، بل إلى **تآكل سلطة المؤسسات المركزية نفسها**. تضعف المنظمات الكبرى (مثل الاتحادات اليهودية ومؤتمر الرؤساء) وتفقد قدرتها على التحدث باسم "المجتمع". في المقابل، تزدهر الهويات اليهودية الأصغر حجماً واللامركزية. تتشكل شبكات ومجموعات اهتمام صغيرة (عبر الإنترنت أو في مناطق جغرافية محددة) تعبر عن أشكال مختلفة من الهوية اليهودية، بعضها ديني، بعضها ثقافي، بعضها سياسي. النتيجة ليست حرباً أهلية، بل "أرخبيل" من الهويات المتعايشة والمتنافسة أحياناً.

السيناريو الخامس: التحول نحو العالمية الجديدة (The Universalist Shift)

هذا هو السيناريو الأكثر جذرية والأقل احتمالاً على المدى القصير، لكنه يمثل تحولاً محتملاً على المدى الطويل. فيه، يتمكن "معسكر العدالة الكونية" من إحداث تحول في التيار الرئيسي نفسه. يتطلب هذا إعادة تفكيك عميقة للعلاقة بين الهوية اليهودية والقومية السياسية. لا يعود دعم دولة معينة هو محور الهوية، بل تعيد غالبية الجالية تعريف نفسها كجماعة دينية وثقافية عالمية، رسالتها الأساسية هي المساهمة في "إصلاح العالم" (تيكون عولام) والتضامن مع قضايا العدالة الإنسانية في كل مكان. سيكون هذا بمثابة "إصلاح فكري" جديد يعيد اليهودية إلى جذورها الأخلاقية النبوية.

2 المبحث الثاني: منهجية الرصد والمتابعة - الكتاب كمرصد فكري

هذا الكتاب ليس مجرد تحليل لظاهرة، بل هو تأسيس "مرصد" فكري. ولكي يكون فعالاً، لا بد من منهجية واضحة ومستمرة لتحليل التحولات. إليك خارطة طريق عملية للقيام بذلك:

- **رصد الفاعلين والمؤسسات:** المتابعة الدورية للمنظمات الرئيسية في كل معسكر (AIPAC, JVP, J Street, ADL) عبر نشراتهم الإخبارية وقرارات مؤتمراتهم.
- **تحليل مكبرات الصوت والخطاب:** بناء قائمة قراءة ثابتة من المنصات الإعلامية التي تمثل كل تيار (مثل Commentary, Jewish Currents)، وتتبع تطور السرديات.
- **مراقبة ساحات الصراع:** تركيز الانتباه على الأماكن التي يظهر فيها الصدام بوضوح، مثل الجامعات والمؤسسات الدينية ووسائل التواصل الاجتماعي.
- **تتبع المؤشرات الكمية:** البحث عن بيانات تدعم التحليل النوعي، عبر متابعة استطلاعات الرأي الكبرى (مثل التي يصدرها مركز Pew للأبحاث) وبيانات التصويت.
- **التقييم ضمن إطار السيناريوهات:** عند وقوع أي حدث كبير، يجب أن نطرح السؤال: **"أي من ملامح السيناريوهات الخمسة يقوم هذا الحدث بتعزيزها أو إضعافها؟"**.

كلمة أخيرة

أياً كان المسار الذي سيتخذه المستقبل، فإن أمراً واحداً مؤكد: لقد انتهى عهد التماسك الصُّلب الذي ميّز المجتمع اليهودي في القرن العشرين. لقد كسر "الطوفان الثقافي" المرآة التي كانت تعكس صورة موحدة، وكشف عن وجوه متعددة ومتصارعة. إن الصراع الدائر اليوم ليس مجرد خلاف سياسي حول أفعال دولة، بل هو معركة وجودية على روح وهوية واحدة من أقدم جماعات العالم، التي تجد نفسها اليوم في قلب العاصفة، مجبرة على مواجهة تاريخها وتناقضات حاضرها لتقرر أي مستقبل ستكتب لنفسها.

خاتمة: خريطة لزلزال هوياتي

في بداية هذا الكتاب، طرحنا سؤالاً محورياً: كيف نفهم الانقسام العميق الذي يعصف بالمجتمع اليهودي الأمريكي اليوم؟ للإجابة على هذا السؤال، لم نسلك دروب التحليل السياسي المعتاد، بل انطلقنا في رحلة أعمق لتشريح "الأنماط" الخفية التي تشكل الهويات وتدفعها نحو التحول. لقد كانت هذه الرحلة محاولة لرسم خريطة لزلزال هوياتي، وتقديم بوصلة تساعدنا على فهم مساراته.

بدأنا رحلتنا في **الجزء الأول** بتفكيك البنية التي هيمنت على النصف الثاني من القرن العشرين، والتي أطلقنا عليها مجازاً "نمط التماسك الدفاعي". رأينا كيف **تشكلت هذه البنية على ثلاثة أعمدة رئيسية:**

- **الصدمة التأسيسية** للمحرقة التي ولّدت عقيدة "لن يتكرر هذا أبداً" .
- **المشروع الصهيوني** الذي قُدم كاستجابة عملية وضمانة مادية لهذه العقيدة.
- **الإحساس بخطر معاداة السامية** الذي عمل كعامل ضغط خارجي يعزز التماسك الداخلي.

هذه الأعمدة مجتمعة أنتجت سردية جامعة أسميناها: "**أخلاقية البقاء**"، التي أعطت الأولوية للوحدة والقوة والتشكيك بالآخر ك ضرورات وجودية.

ثم انتقلنا في **الجزء الثاني** لنرصد كيف أن هذه البنية المتماسكة، التي بدت راسخة، بدأت بالتصدع تحت وطأة ما أسميناه "**الطوفان الثقافي**". لقد عمل محفزان رئيسيان معاً كعاصفة مثالية:

- **المُسرّع الرقمي** الذي كسر احتكار السردية وسمح بتدفق المعلومات والصور مباشرة دون وسيط.
- **الصدمة الأخلاقية** الناتجة عن أحداث تجاوزت في حجمها قدرة السرديات القديمة على احتوائها وتبريرها. نتيجة هذا الطوفان لم تكن فوضى، بل كانت تبلور انقسام جيولوجي عميق له خرائطه الأيديولوجية والجغرافية والديموغرافية الواضحة، والذي تجسد في صراع بين "معسكر الولاء القومي" و"معسكر العدالة الكونية".

وفي **الجزء الثالث**، غصنا في قلب ساحة المعركة الفعلية: **"حرب المواقع" على هوية المستقبل**. قمنا بتشريح الفاعلين وآلات الصراع في كل معسكر، من هوليوود وقلاع الاقتصاد في وول ستريت ووادي السيليكون، إلى ساحة القانون والأوساط الأكاديمية. ورأينا كيف أن هذا الصراع ليس مجرد خلاف سياسي، بل هو صدام بين سرديات متنافسة، كل منها يقدم عالماً أخلاقياً متكاملاً ورؤية مختلفة لما يعنيه أن تكون يهودياً في القرن الحادي والعشرين. كما تعمقنا في دراسة حالة "لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية" (AIPAC)، ليس كجماعة ضغط فحسب، بل كـ "آلة" معقدة ونظام تكيفي تطور على مدى عقود، ويواجه اليوم تحديات وجودية تجبره على التحول.

وأخيراً، في **الجزء الرابع**، وسعنا عدستنا التحليلية لنضع هذه الظاهرة في سياق أوسع. فمن خلال مقارنة الحركة الصهيونية مع حركات قومية أخرى كالأرمنية والأيرلندية والفلسطينية، استخلصنا "نموذج التفوق" الذي لم يكن نتيجة عامل واحد، بل نتاج تفاعل تآزري بين هندسة السردية، وحشد الشتات، وبناء المؤسسات، ودعم القوى العظمى، والتوقيت التاريخي. ثم نظرنا نحو المستقبل، وطرحنا سيناريوهات متعددة لا كنبوءات حتمية، بل كمسارات محتملة قد يتخذها هذا المجتمع المنقسم.

إن الصراع الدائر اليوم ليس مجرد أزمة عابرة، بل هو "نقطة تشعّب" تاريخية، لحظة إعادة تشكيل عميقة لهوية جماعية. وكما تعلمنا من "نظرية الأنماط الديناميكية"، فإن هذه اللحظات المؤلمة من الصراع والتكسّر ليست بالضرورة نهاية القصة، بل هي غالباً آلية الطبيعة الحتمية للتطور والتكيف والبحث عن توازنات جديدة.

هذا الكتاب لم يكن سوى محاولة متواضعة لرسم خريطة لهذا التحول، على أمل أن تساعدنا ليس فقط على فهم ما يحدث داخل إحدى أقدم جماعات العالم، بل أيضاً على فهم الديناميكيات العميقة للصراع الهوياتي في عصرنا المضطرب. ففي نهاية المطاف، قصة هذه "العصبية المتشظّية" هي، على مقياس مختلف، قصة عالم بأكمله يبحث عن هويته في عين العاصفة.

قائمة مقترحة للقراءة والاستزادة

Aziz, M. S. (2017). Pankaj Mishra, Age of Anger.

Beinart, P. (2024). The crisis of Zionism. Melbourne Univ. Publishing.

Butler, J. (2012). Parting ways: Jewishness and the critique of Zionism. Columbia University Press.

Goldstone, J. A. (2018). Ages of Discord: A Structural Demographic Analysis of American History. Evolutionary Studies in Imaginative Culture, 2(1), 137-142.

Hazony, Y. (2025). The virtue of nationalism. Hachette Uk.

Hunter, J. D., & Wolfe, A. (2007). Is there a culture war?: A dialogue on values and American public life. Bloomsbury Publishing USA.

Mearsheimer, J. J., & Walt, S. M. (2007). The Israel lobby and US foreign policy. Macmillan.

Waxman, D. (2016). Trouble in the tribe: The American Jewish conflict over Israel.

عن المؤلف

د. عبد الله النعمة

د. عبد الله النعمة مفكر متخصص في دراسة التقاطعات بين السياسة والمجتمع والثقافة. لا يكتفي في عمله برصد التحولات، بل يسعى لتشريح "الأنماط" الخفية التي تحركها، مع اهتمام خاص بفهم موجات التغيير الثقافي العاتية التي تعيد تشكيل هوياتنا ومجتمعاتنا.

يتبنى في تحليلاته منهجاً تكاملياً فريداً، يجمع بين رؤى علم الاجتماع التاريخي لابن خلدون، ونظريات الصراع الثقافي لغرامشي، وأدوات مستعارة من نظريات الأنظمة الديناميكية. كتابه هذا هو تتويج لمشروع فكري يسعى لمنح القارئ "خريطة تحليلية" للإبحار في عالم اليوم المضطرب وفهم أعمق لديناميكياته.

في قلب العاصفة... يقف شابان يهوديان، أحدهما يرفع علم إسرائيل والآخر لافتة "ليس باسمنا". كلاهما يرى في الآخر خائناً.

لأول مرة منذ عقود، تتصدع إحدى أكثر الهويات تماسكاً في العالم. "العصبية" التي بُنيت على صدمة الماضي ووحدتها عقيدة "لن يتكرر هذا أبداً"، تواجه اليوم طوفاناً ثقافياً يهدد بانهيارها.

هذا الكتاب ليس مجرد تحليل سياسي، بل هو رحلة عميقة لتشريح هذا الزلزال الهوياتي. من قرى أوروبا الشرقية إلى أروقة الكونغرس وقاعات مجالس إدارة وادي السيليكون، يقدم المؤلف خريطة جريئة لفهم: كيف بُني هذا البناء الصلب؟ ولماذا يتصدع الآن؟ ومن سينتصر في معركة السرديات على روح المستقبل؟

إنه بوصلة لفهم ليس فقط صراعاً داخلياً، بل طبيعة الصراع على الهوية في القرن الحادي والعشرين.